كِتَابُ أَعْمَالِ القُلُوبِ

۞ أَعْمَالُ القُلُوبِ ۞

(٦١٨١) يقول السائل: أحسن الله إليكم، كيف يكون إخلاص العمل لله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إخلاص العمل هو أن العبادة لا يُراد بها إلا وجهُ الله، والدار الآخرة، لا يراد بها الدنيا، يعني لا يصلى الإنسان لأجل أن يُمدَح، فيقال: ما أكثرَ قيامَه للصلاة، وما أكثر صلاته. وما أشبه ذلك، بحيث يجعل عمله خالصًا لله -عز وجل- يريد به الثواب مِن عنده، وبعض الناس ربما يجتهد في العبادة ليقال: إن فلانًا كثير الصلاة، أو إن فلان كثير العمرة، أو إن فلانًا كثير الحج، أو إن فلانًا كثير الصدقات. وهذا يُخِلُّ بالإخلاص، قال الله -عز وجل- ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال -تعالى- ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والله لو تأمل الإنسان هذه الآية لاتَّعظ كثيرًا، فأنت ما خُلِقتَ إلا للعبادة، وليس وجودك في هذه الدنيا لِتَعْمُرَ الدنيا، ولتبنيَ القصور، ولتركبَ السيارات الفخمة، ولتُرَفِّهَ جسدك، وإنما خُلِقت للعبادة، ومَن خُلِق للعبادة ينبغي أن يَجعل عملَه كلَّه عبادة، ولهذا كان الموَفَّقُون الكَيِّسون يجعلون عاداتِهم عِبادةً، والغافلون يجعلون عباداتِهم عادةً، فأنت تجد الموَفَّق- وأسأل الله أن يجعلني ومَن سَمِع منهم- إنْ أَكَلَ يأكُل امتثالًا لأمر الله، لأن الله أمر به ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ويَقصد بالأكل حِفْظَ بَدَنِه، وهو مأمور بحفظ بَدَنِه، وإنْ أَكَل يريد الاستعانة به على طاعة الله، فيكون طعامه الذي يتلذذ به أكْلًا وشُربًا، يكون عبادة، وإن لَبِس ينوي بذلك سَتْر عورته وسَوْءته عن الناس، ثم يتذكر بهذا أنه كما يجب أن يستر عورته الحِسِّية عن الناس، فليستر عورته المعنوية بالتوبة إلى الله، ولهذا لما قال الله -عز وجل- ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾، وهذا اللباس الضروري ﴿ وَرِيشٗاۖ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وهذا لباس الجمال قال ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، فإذا نوى، واستحضر بقَلبه عند اللباس هذا المعنى صار اللباس عبادة، وهكذا العادات، يستطيع المؤمن الموفَّق الكَيِّس أن يجعل عاداته عبادات.

وأما الغافل فعِباداته عادات، اعتاد أنه إذا أُذِّن في المسجد يصلي، واعتاد أنه إذا جاء رمضان صام، واعتاد أنه إذا جاء وقت الزكاة تصدَّق، وهو في غفلة، ولهذا، فإن النية لها مَدخل عظيم في العبادات: ففي الوضوء مثلًا، أكثرُنا إذا جاء وقت الصلاة، أو أراد أن يصلي نافلة، قام وتوضأ وصلى، لكن هل منا مَن يستحضر أنه إذا كان يصلي يمتثل أمر الله في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦]؟ هل يستحضر أنه يُطبِّق قول الله -عز وجل- ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ عند غسل وجهه؟ فالذي ينبغي لنا أن نستحضر هذا، ونخلص لله -عز وجل- فينوي المسلم في قلبه: أغسِلُ وجهي امتثالًا لأمر الله، وأغسل يَدَيَّ امتثالًا لأمر الله، وأمسح رأسي امتثالًا لأمر الله، وأغسل رِجْلَيَّ امتثالًا لأمر الله، ثم يستحضر أيضًا معنىً آخر: أنني أفعل هذا اتباعًا لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وكأني أشاهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- يتوضأ على هذه الكيفية، حينئذٍ نحقق في هذا الاستحضار الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

والحقيقة أن الإنسان إذا عرف قدْره، وقدْر حياته، استطاع بمعونة الله -عز وجل- أن يَقْلب عاداته عبادات، وأن يُكْمِل عباداته باستحضار هذه النِّيَّات، ويكون حقَّق قول الله -عز وجل- ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

أسأل الله -تعالى- أن يَمُنّ عليَّ وعليكم، وعلى مَن سمع بهذه النية الطيبة.

***

(٦١٨٢) تقول السائلة أ. ج. س: إذا قام الإنسان ببعض أعمال التطوع، كصلاة الضحى، أو قيام الليل، أو غيرها من العبادات، وحاول أن يراه أهل

البيت، ليس رِياءً، ولكن رجاءَ تقليدهم له، أو الاقتداء به، فيكون قدوة لهم، فهل يجوز هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأصل في معاملة الإنسانِ ربَّه، وتعبُّده له أن يكون ذلك سِرًّا بينه وبين ربه، لأنه إنما يتعبد لله رجاء ثواب الله -عز وجل- والنجاة مِن عقابه، وهذا لا يحتاج إلى أن يراه أحد من البَشر، لأن البَشر لا يحققون له شيئًا من ذلك، إلا حسبما تقضيه الشريعة، كالدعاء للإنسان مثلًا، هذا هو الأصل في العبادات، لكن قد يكون إظهار العبادة أمرًا مشروعًا مُرَّغبًا فيه، لما يترتب عليه من المصالح.

فانظر إلى الصلاة مثلًا، وهي أَجَلُّ العبادات البدنية، يُشرع أن تكون جماعة في المساجد مُعْلَنَةً ظاهرة، لما في ذلك من الخير الكثير المترتب على إعلانها والاجتماع عليها في المساجد، ولهذا إذا عُورضت هذه المصلحة بما هو أصلح، كان الأفضل عدم صلاتها في المساجد، فالنساء مثلًا لا يشرع لهن أن يصلين جماعة في المساجد، وإن كان يباح لهنّ أن يحضرن جماعة الرجال في المساجد، أما الرجال فوُجوب الجماعةِ عليهم في المساجد ظاهِر، وذلك لأن مصلحة إظهار الجماعة في المساجد بالنسبة للرجال عارَضَها مشروعية القَرار في البيوت، وعدم البروز بالنسبة للنساء، فكانت بيوتهن خيرًا لهن، ولهذا نقول: إن المشروع في حق المرأة ألا تشهد الجماعة مع الرجال، إلا في صلاة العيد خاصة، فإن النبي ﷺ أمر النساء أن يخرجن، حتى إنه قال: «**يَخْرُجُ العَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الخُدُورِ، أَوِ العَوَاتِقُ ذَوَاتُ الخُدُورِ، وَالحُيَّضُ، وَلْيَشْهَدْنَ الخَيْرَ، وَدَعْوَةَ المُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزِلُ الحُيَّضُ المُصَلَّى**»(١). إذًا الأصل في العبادة أن تكون سرًّا بين الإنسان وبين ربه، لأنه -سبحانه وتعالى- هو الذي يثيبه عليها، ويعاقب الإنسان على معصيته، لكن إذا كان فيها مصلحة، فإنها تراعى هذه المصلحة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين، ويعتزلن المصلى، رقم (٣١٨)، ومسلم: كتاب صلاة العيدين، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة، مفارقات للرجال، رقم (٨٩٠).

وبناء على هذه القاعدة يتبين الجواب عن سؤال المرأة التي تسأل عن إخفاء التطوع في بيتها على أهلها: هل هو أفضل، أو إظهار التطوع الذي لا رياء فيه، ولا سُمعة، ولكن من أجل أن يقتدي بها أهل البيت؟ فنقول: إن إظهار التطوع في هذه الحال بهذه النية أفضل من إخفائه، لأن الناس يُنَشِّط بعضهم بعضًا، فإذا رأت المرأة أن إظهار تطوعها في الصلاة، أو قراءة القرآن، أو الصدقة، أو ما أشبه ذلك، يَنتج عنه خير باقتداء غيرها بها، فإن إظهاره حينئذ يكون خيرًا، وهكذا الرجل.

ولهذا امتدح الله -عز وجل- الذين يُنفقون سرًّا وعلانية، ولم يجعل المدح خاصًّا بالذين ينفقون سِرًّا، وذلك لأن السِّرَّ قد يكون أَوْلى، والإعلان قد يكون أَوْلى، بحسب ما يترتب على ذلك من المصالح.

وخلاصة الجواب: أن المرأة إذا أظهرت التطوع بالصلاة، أو القراءة، أو الصيام، أو الصدقة، من أجل أن يقتدي بها أهل البيت، فإن ذلك لا بأس به، بل هو خير.

***

(٦١٨٣) يقول السائل: كيف يكون حال الإنسان عندما يريد أن يعمل شيئًا من الطاعات؟ هل يكون في قلبه أنه يريد نَيْل رضا الله -عز وجل- أم الفوز بالجنة، والنجاة من النار، أم إبراء الذمة؟ وهل عليه أن يتذكر الإخلاص عندما يريد فعل أي شيء، أَفْتُونَا مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما إرادة الإخلاص فلا بد منها، وهي أن يريد بعبادته وجه الله لا سِواه، وأما هل يريد إبراء الذِّمَّة، أو النجاة من العذاب، أو حصول الثواب، أو رضا رب العباد؟ فإنه ينوي كل هذا، وهو إذا نوى هذه كلها، فلا مُنافاة بينها، يمكن أن ينويها كلها، فينوي رضا الله، وينوي فضل الله، وينوي النجاة من عقاب الله، وينوي إبراء الذمة. ولقد قال الله -تبارك وتعالى- في وصف النبي ﷺ وأصحابه ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩]، فجمعوا بين الأمرين: بين نية ابتغاء فضل الله -تبارك وتعالى- بثوابه، والوصول إلى دار كرامته، ونية رضوان الله -سبحانه وتعالى-.

***

(٦١٨٤) يقول السائل: ما أفضل وسيلة تُرشد إليها فضيلتُكم لتحصيل الإخلاص، والبعد عن كل ما يَنقُص من ثواب الأعمال؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الوسيلة التي تنجي من هذا هي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والاستعانة به على طاعته، وألا يلتفت الإنسان إلى هذه الوساوس التي يلقيها الشيطان في قلبه، فإن الشيطان يلقيها ليفسد عليه عبادته وإرادته، فلينبذها وراء ظهره، ولا يلتفت إليها، وربما يجد صعوبة في تصحيح النية، ولكن إذا استمر وصبر، فالعاقبة للمتقين، ولقد قال بعض السلف: ما جَاهَدْتُ نفسي على شيء مُجَاهَدَتَها على الإخلاص. لكنه نجح، فإذا استمر الإنسان في عمله، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، واستعان به على طاعة الله، وصَبَرَ وصَابَر، فإن الله -تعالى- ينجيه، قال الله -تعالى- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

***

(٦١٨٥) يقول السائل م. ص: كيف السبيل لكي تكون أعمالنا خالصة لوجه الله -تعالى- دون كبرياء، أو رياء، أو مُفَاخَرة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السبيل إلى ذلك أن يكون الإنسان متعبدًا لله، يرجو ثواب الله، لا يرجو أحدًا من الناس أن يمدحه، أو يعامله معاملةً طيبة.

ثانيًا: أن يعلم أن العباد لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، فحينئذٍ لا يبالي بهم، سواءً علموا بعبادته، أم لم يعلموا، وسواءً أَثْنَوا عليه، أم لم يُثْنُوا عليه.

ولكن قد يوسوس الشيطان للإنسان إذا أراد أن يفعل عبادة، فيقول له: إنك تفعلها رياءً. فيتركها، وهذا من تلاعب الشيطان به، فالواجب إذا أحس بهذا أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ويستمر في عبادته، وبانتهاج هذا المسلك يزول عنه ما يجد في النفس من خوف الرياء.

***

(٦١٨٦) **يقول السائل**: كيف يتقي المسلم عذاب القبر، وعذاب النار؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يتقي ذلك بالأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله -تعالى- والعمل الصالح هو الذي جمع شرطين:

أولهما: الإخلاص لله -عز وجل- بألا يقصد الإنسان بعبادته إلا وجه الله، والدار الآخرة، لا يقصد بذلك رياء، ولا سُمعة، ولا مدحًا عند الناس، ولا شيئًا من الدنيا.

وثانيهما: ألا يأتي بشيء مُبتَدَع مِن عنده في دين الله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له موافقًا لشريعته، ودليل ذلك هو قوله -تعالى- في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

ولقول النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

ومن أسباب الوقاية من عذاب القبر أن يَسْتَنْزِهَ مِن البَول، ويتطهر منه طهارةً كاملة، لأنه ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مَرَّ بِقَبْرَيْن فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**». أي في أمرٍ شاقٍّ، بل هو أمرٌ سَهل - فقال: «**أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقاق، باب مَن أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب النجش، رقم (٢٥٥٠)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم (٢١٥)، ومسلم: كتاب =

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «اسْتَنْزِهُوا مِنَ الْبَوْلِ، فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ»(١).

ومن أسباب الوقاية من عذاب القبر أن يُكثِر الإنسان من الاستعاذة بالله من عذاب القبر، ولهذا أمرنا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إذا تشهَّدنا في الصلاة أن نستعيذ بالله من أربع، نقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٢).

***

(٦١٨٧) يقول السائل ع. ح. ط: ما هي الأمور التي تُعِين الشخص على أن يحظى بالقبول عند الناس؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا يجب أن يكون هَمُّ الإنسان رضا الله -عز وجل- وأن يكون مقبولًا عند الله، ووجيهًا عند الله، فإن هذا المقصد الأسمى بالدرجة الأولى، والإنسان إذا كان عند الله بهذه المنزلة، كان عند عباد الله بهذه المنزلة، فإن: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»(٣).

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثم يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»(٤).

= الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).

(١) أخرجه الدارقطني رقم (٤٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم (٧٩٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة رقم (٥٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي: آخر كتاب الزهد، رقم (٢٤١٤).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة، رقم (٧٠٤٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، رقم (٢٦٣٧).

فَرِضا الناس يكون تابعًا لِرِضَا الله -عز وجل- فإذا رضي الله عنك، وجعلك وجيهًا عنده صِرت مَرْضِيًّا عنك عند الناس ووجيهًا، نسأل الله -تعالى- أن يجعلنا وإخواننا من المقبولين عنده، ومن الوجهاء، إنه جواد كريم.

***

(٦١٨٨) تقول السائلة هـ. م. هـ: ما هي حقيقة الزهد في نظر الإسلام، وكيف يكون باستطاعتي أن أعيش حياة الزهد، بحيث أكون بعيدة عن التَّنَطُّع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قال أهل العلم: إن الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، بحيث يترك الإنسان المباحات إذا لم تنفعه في الآخرة.

ومما يعين على الزهد أن يتأمل الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وأنها دار مَمَرّ، وليست دار مَقَرّ، وأنها لم تَبْقَ لأحد مِن قَبلك، وما لم يَبْقَ لأحد مِن قَبلك، لن يبقى لك، قال الله -تعالى- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

يعني: لن يَخْلد أحد في هذه الدنيا، وكذلك يعلم أن هذه الدنيا دارُ تنغيص وكَدَر، فما سُرَّ بها الإنسان يومًا، إلا ساءه الأمر في اليوم الثاني، فإذا علم حقيقة الدنيا، فإنه بعقله وإيمانه سوف يزهد بها، ولا يُؤْثِرها على الآخرة، قال الله -تعالى- ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٩].

***

(٦١٨٩) تقول السائلة: بارك الله فيكم، حَدِّثُونا عن العُبَّاد والزُّهَّاد الذين أعرضوا عن الحياة الدنيا وزينتها، وأقبلوا على الله وكتابه وسنة رسوله ﷺ والحياة الحقيقية الدائمة التي فيها السعادة والطمأنينة في الدارين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا يجب أن نعلم أن العُبَّاد والزُّهَّاد ليسوا كما يتصورهم كثير من الناس بأنهم الذين أعرضوا عن الدنيا كلها، وانْزَوَوْا في زاوية بعيدين عن الناس، لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، لكن

العُبَّاد هم الذين قاموا بعبادة الله على حسب ما تقتضيه الشريعة، والزُّهَّاد هم الذين تركوا ما لا ينفعهم في الآخرة، فما ينفعهم في الآخرة يفعلونه، ولو كان في أمور الدنيا، ولهذا لما اجتمع نفر من الصحابة، فقال بعضهم: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. وَبَّخَهُم النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

فالزهد حقيقته أن يدع الإنسان ما لا ينفعه في الآخرة، لا أن يدع أمور الدنيا كلها.

والعبادة أن يتعبد الإنسان لله -تعالى- بما يوافق الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ فهؤلاء هم العباد، وأما أولئك الذين يَنْزَوُون في أماكنَ، ولا يعرفون الناس، ولا يعرفهم الناس، ولا ينالون شيئًا مما أباح الله لهم من الطيبات، فإن هؤلاء إلى الذَّمِّ أقرب منهم إلى المدح، لأن الله -تعالى- يقول ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فالحاصل أن العُبَّاد والزُّهَّاد هم -أولًا- العُبَّادُ الذين يقومون بعبادة الله على ما تقتضيه الشريعة الظاهرة، والزُّهَّاد هم الذين يَزْهَدُون فيما لا ينفعهم في الآخرة، لا في أمور الدنيا كلها.

وقد يكون من أمور الدنيا ما ينفع الإنسان في الآخرة، كالمال مثلًا، فالمال قد ينفع الإنسان في الآخرة، ونِعْم المال الصالح عند الرجُل الصالح، وما أكثر الذين نفعوا المسلمين بأموالهم، حيث وَاسَوُا الفقراء، وأصلحوا الطُّرُق،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٤٧٧٦)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (١٤٠١).

وأعانوا في الجهاد، وطبعوا الكتب النافعة، وحصل في أموالهم خير كثير، وهم يشتغلون بالمال.

***

(٦١٩٠) يقول السائل: كيف تكون محاسبة النفس للمسلم؟ وما صفة المحاسبة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: محاسبة الإنسانِ نفسَه هي أن يتأمل: ماذا فعل؟ وماذا ترك؟ وماذا قال؟ وماذا سكت عنه؟ حتى يحاسب نفسه، فيقول مثلًا: لَمْ تقولي الحَقَّ في موضعِ كذا وكذا، ولم تفعلي المعروف في موطن كذا وكذا. ويقول: فعلتِ المنكرَ في موضع كذا وكذا، وقُلتِ الزُّورَ في موضع كذا وكذا. وهكذا يحاسب نفسه عما فعلَت، وعما تركَت، من أجل أن يقيم المعْوَجَّ، ويُزيل ما فيه الشَّرُّ، هذا هو معنى المحاسبة.

***

(٦١٩١) يقول السائل م. م: فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، ما هي الأسباب المُعِينة على المحافظة على الدِّين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: من الأسباب الْمُعِينَة على قوة الإيمان كثرة الطاعات، وأهمها الواجبات، ثم النوافل، وذلك لقول الله -تعالى- في الحديث القدسي: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»(١).

وكلما ازداد الإنسان طاعة لله، ازداد إيمانًا وتقوى، قال الله -تبارك وتعالى- ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال -تعالى- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

فالحرص على كثرة تلاوة القرآن، والذِّكر والصلاة والصدقات، وغيرها من القربات، كل هذا يزيد الإنسان إيمانًا وقوة، وحبًّا للخير.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦١٣٧).

وأما المعاصي فهي أسباب الشَّرِّ والفساد، كما قال -تعالى- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال العلماء: لا تفسدوها بالمعاصي. وكلما فعل الإنسان معصية نقص إيمانه، وبعُد مِن رَبِّه -عز وجل- قال الله -تبارك وتعالى- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

ومن أسباب زيادة الإيمان، أن يُطالع الإنسان في سِيرة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه الكرام، فإن فيها تربية للقلب والعقل والفكر، وفيها زيادة الإيمان، ومحبة للرسول -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه، وتُرَبِّي الإنسان تَرْبِيَةً تَامَّة على غِرَارِ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

***

(٦١٩٢) يقول السائل: ما هي التقوى، وحدثونا عن مراتبها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التقوى أن يتخذ الإنسان الوقاية من عذاب الله، وذلك بأن يقوم بأوامر الله -عز وجل- عن عِلْمٍ وبَصِيرة، وأن يترك ما نهى الله عنه عن عِلْمٍ وبَصِيرة.

وأما مراتبها، فإنها تختلف باختلاف ما فعل الإنسان من المأمورات، وما ترك من المنهيات، فكلما كان الإنسان أَقْوَمَ في فعل الطاعة، كان أتقى لله -عز وجل- وكلما كان أَبْعَدَ عن محارم الله، كان أتقى لله -عز وجل- ولهذا كان محمد ﷺ أتقى الخلق، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(١). لأنه ﷺ أقوم الناس بأمر الله، وأبعدهم عن محارم الله.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٦١٩٣) يقول السائل: ما هي الدوافع للتمسك بدين الله، وسنة رسوله ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الدوافع هي الهداية من الله -عز وجل- فإن (مَن يهده الله فلا مضل له)، وكذلك التأمل، والنظر فيما يترتب على طاعة الله -عز وجل- من ثواب عاجل وآجل، والنظر والتأمل فيما يترتب على مخالفة أمر الله ورسوله من عقاب عاجل، أو آجل، فكل هذا يُحَفِّز المرء إلى فعل المأمور، وترك المحظور، مع الاستعانة بالله -عز وجل- والبعد عن رفاق السوء، فإن النبي ﷺ حذَّر مِن مُرافقة أهل السوء، حيث مَثَّل جليس السُّوء بنَافِخ الكِير، فقال: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[١].

وكم من إنسان هَمَّ أن يستقيم، ولكنه بقي مع الرُّفْقَة غير المستقيمة فعجز، فإذا ابتعد عنهم، كان ذلك من أسباب الهداية.

***

(٦١٩٤) يقول السائل: **ما هي أسباب قسوة القلب، والعلاج مِن ذلك؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أسباب قسوة القلب الإعراض عن الله -عز وجل- والبعد عن تلاوة القرآن، واشتغال الإنسان بالدنيا، وأن تكون الدنيا أكبرَ هَمِّه، فلا يهتم بأمور دينه، لأن طاعة الله -تعالى- تُوجب لِينَ القلب ورقَّته، ورجوعه إلى الله -تبارك وتعالى-.

ودواء ذلك بالإقبال على الله، والإنابة إليه، وكثرة ذكره، وكثرة قراءة القرآن، وكثرة الطاعات بحسب المستطاع.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٢١٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم (٢٦٢٨).

نسأل الله لنا ولإخواننا أن يُلِينَ قلوبَنا لِذِكْرِه، وأن يَعْمُرَهَا بطاعته، إن الله على كل شيء قدير.

***

(٦١٩٥) **تقول السائلة ب. ع. س. ل:** مشكلتي يا فَضِيلَةَ الشَّيْخ، هي أن قلبي قاسٍ، حتى إنه مِن شِدَّة القسوة إذا تُوفِّي شخص مِن أقاربي لا أبكي، ولا تدمع عيناي، إلا بعد المحاولات، فهل هذه القسوة تمنع قبول صلاتي وصيامي، وغير ذلك من الأعمال؟ وهل هذا مِنْ نقص إيماني؟ وهل إذا تصدقت على الفقراء تزول هذه القسوة مِنْ قلبي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم بعض الناس عندهم قسوة القلب، وليس قلبه لينًا، فتجده لا يخشع، وإن أصيب بأعظم المصائب -نسأل الله العافية- فقلبُه مُتَحَجِّر كالحجارة، أو أشد قسوة.

ومن أسباب لِين القلب قراءة القرآن الكريم، فإنه يُلِينُ القلب -إذا قرأه الإنسان بتدبر وتَمَعُّنٍ- بدليل قول الله -تعالى- ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]. هذا وهو جَبَلُ حَصًى، ويقول ابن عبد القَوِيِّ رحمه الله في داليته المشهورة[1]:

وَوَاظِبْ عَلَى دَرْسِ الْقُرَانِ فَإِنَّه ... يُلَيِّنُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلْمَدِ

ومما يلين القلب قراءة السيرة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم- فإن قراءة السيرة لها تأثير عجيب على القلب، لأن الإنسان يتذكر، وكأنه مع الصحابة، فَيَلِين قلبه.

ومن أسباب لِين القلب رحمةُ الأطفال، والتلطُّف معهم، فإن ذلك يُلِينُ

(١) البيت موجود في: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٥٦٠)، وهو غير موجود في (منظومة الآداب) للناظم بشرح السفاريني (طبعة دار الكتب العلمية ، وطبعة ...)، فلعلها سقطت من الطابع أو من نسخة الشارح، والله اعلم.

القلب، وله تأثير عجيب، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١).

ومن أسباب لِين القلب سماع المواعظ والقصائد التي تحيي القلب، ولذلك تجد الرجل إذا سمع قصيدة مؤثرة يخشع قلبه وتدمع عينه.

ومن أسباب لين القلب حضور القلب في الصلاة، فإن ذلك من أسباب الخشوع، ولِين القلب، نسأل الله -تعالى- أن يلين قلوبنا لذكره، وأن يعيذنا من قسوة القلب.

***

(٦١٩٦) تقول السائلة: بارك الله فيكم، ماذا يفعل المؤمن إذا كان قَلْبُه لا يخشع عند ذِكْر الله، أو في الصلاة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان القلب لا يخشع عند ذكر الله، أو في الصلاة، فهذا دليلٌ على أن القلب فيه مرض، فعلى الإنسان أن يعالج هذا المرض بكثرة الإنابة إلى الله -عز وجل- ودعائه -سبحانه وتعالى- وصدق النية في طلب الوصول إلى مرضاته، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، إذا أراد الشيطان أن يَحُول بينه وبين عبادته، وإذا رَغِب إلى الله -عز وجل- في أن يُلِين قلبَه لِذِكْره، وما نزل من الحق، ودعا الله -عز وجل- بصدق وإخلاص، فإن الله -سبحانه وتعالى- قريبٌ مجيب، يجيب دعوته ويُحَصِّل مطلوبه.

ومِن أكبر الأسباب لاستقامة القلب وسلامته، كثرة قراءة القرآن، فإنه يُلِين القلوب، ويَزِيدها ثباتًا، خصوصًا إذا قرأه الإنسان بِتَدَبُّر، وقرأه وهو يشعر أنه يقرأ كلام الله -عز وجل- وقرأه وهو يُصَدِّق بأخباره، وقرأه وهو يلتزم بفعل أوامره، وترك نواهيه، فإنه يُرْجَى أن يحصل على خيرٍ كثير.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠، رقم ٦٤٩٤)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم (٤٩٤١)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم (١٩٢٤) وقال: حسن صحيح.

(٦١٩٧) **تقول السائلة هـ. م. غ:** أُحِبُّ -يا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ- أن أستقيم على طريق الله، والتقرب منه -سبحانه وتعالى- وأرجو من فضيلتكم إرشادي إلى بعض الطاعات المستحبة التي تقربني من الله -عز وجل- وتَزْرَع في قلبي محبته وتَقْوَاه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العبادات المستحبة كثيرة، منها النوافل في الصلوات: كالرواتب الاثنتي عشرة ركعة، وهي: ركعتان قبل الفجر، وأربع ركعات قبل الظُّهر بِسَلامَيْن، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد صلاة العشاء.

ومنها التَّهَجُّد في الليل بصلاة الليل، وهي مَثْنَى مَثْنَى، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- حين سأله رجل فقال: ما تقول في صلاة الليل؟ قال: «مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً، فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى»[(١)].

ومنها صلاة الضحى، يصلي الإنسان ركعتين في الضحى، ويزيد ما شاء الله، هذه أيضًا من النوافل.

ومن النوافل أيضًا النوافل في الصدقة، كالإحسان إلى اليتيم والقريب، وما أشبه ذلك.

وأما صوم النفل، فهو كثير، كصوم يومي الاثنين والخميس، وستة أيام من شوال، وعشر ذي الحجة، واليوم التاسع والعاشر من شهر محرم، وغير ذلك.

والحج أيضًا كذلك فيه نوافل، كالطواف بالبيت في غير طواف النسك، وكَتَكْرَار العُمرة والحج بقدر المستطاع، هذا كله من النوافل.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن الله -سبحانه وتعالى- قال في الحديث

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، رقم (٤٦٠)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة، رقم (٧٤٩).

القدسي: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»(١).

***

(٦١٩٨) **يقول السائل**: ما العلاج المناسب لانشراح الصدر، حيث إنني أعيش في ضيق شديد، وجِّهوني مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العلاج المناسب هو كثرة ذِكْر الله -عز وجل- قال الله -تعالى- ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن العلاج ألا يهتم الإنسان بأمور الدنيا، وألا يكون له هَمٌّ إلا الآخرة.

ومن العلاج أن يكون الإنسان باذلًا لمعروفه، سواء ببذل المال، أو ببذل المنافع، وبذل البدن يساعد إخوانه، أو ببذل الجاه، فإن هذا يوجب انشراح الصدر.

وليكثر أيضًا من هذا الدعاء: ربِّ اشرح لي صدري، ويَسِّر لي أمري.

***

(٦١٩٩) **تقول السائلة**: ما حُكم الحُبِّ في الله؟ وكيف يكون؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحُب في الله مِن أَوْثَق عُرَى الإيمان، فهو من الأمور المطلوبة التي يُثاب عليها العبد، حتى إن النبي ﷺ جعل المتحابِّين في الله -تعالى- ممن يُظِلُّهم الله -تعالى- في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، فقال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم =

فالحب في الله مِن أوثق عُرَى الإيمان، وسببه أن الرجل يرى شخصًا متعبدًا لله -تعالى- قائمًا بطاعة الله، مُصلحًا ما استطاع لعباد الله، فيُحبه على ذلك، لأن أسباب المحبة كثيرة، فمن أسباب المحبة: القرابة، والصداقة، والغنى، والفقر، وربما يكون أيضًا من أسباب المحبة المشاركة في العصيان والفسوق فيما يجري بين أهل الفسق والعصيان، والمحبة في الله هي أعلاه وأفضله، وقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(1).

***

(٦٢٠٠) **تقول السائلة: أحيانًا أقرأ القرآن، وأجد أن صوتي حسنٌ، وترتيلي جَيِّد، فهل يُعتَبر هذا من العُجْب الذي يُبطِل العمل؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس هذا من العُجْب الذي يبطل العمل، بل إن هذا مِن نِعَم الله التي يفرح بها الإنسان، أن الله -تعالى- يعطيه صوتًا جميلًا، وأداء حَسنًا، لأن بعض الناس قد يُحرَم هذا، أو هذا، أو الجميع، وبعض الناس يكون صوته رديئًا، وأداؤه كذلك، ومن الناس من يكون على جانب قوي من الأداء، وحسن الصوت، وهذا -لا شك- أنه مِن نعمة الله على العبد، فليشكر الله -سبحانه وتعالى- على هذا، ولا يكون هذا من باب العُجْب إذا رأى نفسه أنه على هذا المستوى الطَّيِّب.

***

(٦٢٠١) **يقول السائل: كيف يضمن المسلم لنفسه النجاة من الخلود في النار؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يمكن لأحد أن يضمن لنفسه ذلك، لأن:

= (٦٢٩)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، رقم (٥٨١٦)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم (٢٦٤٠).

«قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»(١). لكن المؤمن يرجو الرحمة، والنجاة من النار، بما قام به من عبادة الله وحده لا شريك له، وامتثال أمر الله، واجتناب نهي الله، كما قال الله -تبارك وتعالى- ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

فالإنسان إذا قام بما أوجب الله عليه، وترَك ما حرَّم الله عليه، مخلصًا لله في ذلك، مُتَّبعًا لرسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فإنه يرجو أن يُنجيه الله بذلك من النار، ويدخله الجنة، وينبغي له في هذه الحال أن يحسن الظن بالله، وألا يكون آيسًا من رحمة الله -عز وجل- لكن مع ذلك، كل إنسان يخاف ألا يكون قد قُبِل عَمَلُه، لأن الإنسان بَشَرٌ، قد يكون في قلبه من الإعجاب بعمله ما يهدم عمله، وقد يكون في قلبه شيء من الرياء، وقد يكون في عمله شيء من البدعة، فالضمان غير حاصل على سبيل التعيين، لكن على سبيل العموم نقول: قال الله -تعالى- ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله -تعالى- القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤).

(٦٢٠٢) **يقول السائل**: بارك الله فيكم، فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، ما هو الوَرَع؟ وما هو الزُّهْد؟ وكيف يكون المُسلِم وَرِعًا زاهدًا كالسَّلَفِ الصالِح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الزُّهْد وصفٌ أعلى من الورع، والفرق بينهما أن الورع تَرْكُ ما يَضُرُّ في الآخرة، والزُّهْد تَرْكُ ما لا ينفع في الآخرة، فالزاهد لا يفعل إلا ما هو نافعٌ له في آخرته، والوَرِعُ يفعل ما هو نافع، وما ليس بنافع، لكن لا يفعل ما هو ضار، وذلك أن الأمور لها أحوالٌ ثلاثة:

إما أن تكون نافعة، أو تكون ضارة، أو لا نافعة، ولا ضارة، فيتفق الزاهد والوَرِع في تجنُّب الضَّارِّ، فكلٌّ منهما لا يفعل الضَّارَّ، ويختلفان فيما ليس فيه نفعٌ، ولا ضَرَر، فالزاهد يتجنبه، والوَرِع يأتي به، الزاهد يتجنبه لأنه يريد أن يكون كل شيء يقوم به في هذه الدنيا له فيه خير، فهو مُغْتنمٌ لوقته، حريصٌ على ألا يُفَوِّت من الوقت -ولو شيئًا يسيرًا- إلا وقد عَمَرَهُ بطاعة الله التي تنفعه يوم القيامة.

والوَرِعُ دُونَ ذلك، فهو يفعل المباحات، ويُذهب وقتَه بدون فائدة، لكنه لا يفعل المحرم، يجتنب المحرَّم، ويقوم بالواجب.

وبناءً على ذلك يكون الزُّهْد أعلى مرتبةً من الوَرَع، على أنه ربما يُطْلَق أحدُهما على الآخر، ربما يقال: فلان زاهد. يعني وَرِعًا، أو وَرِعٌ يعني زاهدًا، لكن عندما نقول: وَرَع وزُهْد. فهذا هو الفرق بينهما.

نَصَائِحُ وَتَوجِيهَاتٌ

۞ نَصَائِحُ وَتَوْجِيهَاتٌ ۞

(٦٢٠٣) يقول السائل: لديَّ أخ لا يصلي، وقد أمرته ونصحته بالصلاة، وبيَّنت له أن مَن تَرَكَ الصلاة يكون كافرًا، ولكنه لم يَقْبَل نصيحتي، وهو مَعَنَا يأكل ويشرب ويسكن، فما الحكم في هذه الحالة؟ هل نكون مُداهِنين له أم لا، أفيدُونا ووجِّهُونا مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أُوَجِّهُكم إلى النصيحة له مرة أخرى، فإنْ هَدَاهُ الله -عز وجل- وصلَّى، فهذا هو المطلوب، وهو مِن نِعمة الله عليه وعليكم، وإن تكُن الأخرى، وأبى أن يصلي، فهو كافر مُرْتَدٌّ، يجب هَجْرُه، والبُعْد عنه، وإبعاده عن البيت، إذا كان البيت ليس مِلكًا له، فإن كان مِلْكه وَجَب الخروج عنه، لأن تارك الصلاة كافر مرتد، يجب هَجْره والبُعْد عنه وإبعاده، فإن قال قائل: نخشى إذا أبعدناه أن يزداد شَرُّه. قلنا: لا شَرَّ أعظم من الكفر، فهو -والعياذ بالله- كافر، وماذا يرجى منه إذا بقي على كفره في البيت؟

أما إذا كان الإنسان يرجو رجاء حقيقيًّا بعلامات وقرائن تدل على أنه يميل إلى التوبة، فهنا نقول: ما دام فيه أَمَلٌ -ولو قليلٌ- أن يهديه الله، فإنه يبقى في البيت، ويُكَرَّر له النُّصح.

***

(٦٢٠٤) تقول السائلة: أعيش مع عائلة تتكون من ثلاثين شخصًا، ما بين رجال ونساء وأطفال، جميعهم لا يصلون إلا الجمعة، فبماذا تنصحونهم مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أنصحهم بأن يَتَّقُوا الله -عز وجل- وأن يعلموا أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، افترضها الله -تعالى- على رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ليلة المعراج وهو فوق السموات، فقَبِل -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأبْلَغ أُمَّته بذلك.

وأُحَذِّرهم من التهاون بشيء منها، لأن الله -تعالى- قال في كتابه

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

وأنصحهم إذا أدَّوا الصلاة أن يُؤدوها بطمأنينة، وألا يَنْقُروها نَقْر الغُراب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». **فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». ثَلاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي. فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»**(١).

وأقول لهم: إن الإسلام لا يتجزأ، فهُم إذا كانوا يُصَلُّون الجمعة، ولا يُصَلُّون غيرها، هل هُم لا يُقِرُّون بوجوب غيرها؟ فإن كان الأمر كذلك، فهُم كَفَرَة، لأن جَحْدَ فريضة الصلوات الخمس كُفْرٌ بالله -عز وجل- وإن قالوا: غَيْرُها واجب. لكنهم يتهاونون بها، فإنهم على خطر عظيم، كما تُفيده النصوص من كتاب الله، ومن سنة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(٦٢٠٥) يقول السائل: لي مجموعة من الأصدقاء يتهاونون في أداء الصلاة، وأيضًا يتحدثون فيما حرم الله من الكلام، فهل يجوز لي أن أقاطعهم؟ علمًا بأنني عندما ألتقي بهم أقوم بتذكيرهم بالله -عز وجل- وأسعى لِنُصْحِهِم، فبماذا تنصحونني يا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ننصحك بأنه إذا كان يُفيد بقاؤك في

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، رقم (٧٢٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٧).

صُحبتهم، وتجد منهم إقبالًا على النصيحة، وامتثالًا لما توجههم إليه، فلا حرج أن تبقى معهم، لأن في ذلك انتفاعًا لك ولهم، أما لهم فظاهر، وأما لك، فلأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال لعلي بن أبي طالب: «**لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١).

وأما إذا كنت لا تجد فيهم إقبالًا، ولا قبولًا للنصيحة، فإياك وإياهم، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حَذَّر مِن جَلِيس السُّوء، وأخبر أنه: «**كَنَافِخِ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(٢).

ثم إنه يُرْوَى عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(٣).

***

(٦٢٠٦) تقول السائلة أ. ف. ي. د: يزورنا في البيت مِن الأقارب مَن لا يُصلون، ولا يؤدون الواجبات، ويُشركون بالله -والعياذ بالله- ومنهم مَن يقول لي: إنا ندعوا الأولياء والصالحين. وقد عجزتُ عن نصحهم، فهل يجوز مجالستهم؟ وهم عندما أتحدث عن الدين يضحكون مني، ويسخرون ويستهزئون، ويقولون لي: هذه عابدة اتركوها. وعندما يقولون هذا أتضايق كثيرًا، وأقول: سامحهم الله. وعندما أقول لوالدتي: يا أماه لا تشركي بالله. لا تُعِيرُني أيَّ اهتمام، وإذا استمعت إلى برنامجكم «نور على الدرب» تقول أمي: إنك لن تدخلي الجنة على عملك هذا، وإذا استمررت على سماع هذا البرنامج،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم (٢٧٨٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم (٢٤٠٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)، والترمذي: كتاب الزهد، بعد باب ما جاء في أخذ المال، رقم (٢٣٧٨) وقال: حسن غريب.

أو غيره من البرامج الدينية، فسوف تصابين بالجنون. وأقول لها: إنني لست مجنونة ولكن الله هداني. ماذا أفعل لكي أُرضي الله -سبحانه وتعالى- ثم أُرضي أمي والناس؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتنا أولًا نوجهها إلى هؤلاء الجماعة الذين وصَفتهم بأنهم لا يصلون، وبأنهم يشركون بالله، ويَسخرون من الدِّين، وبمن يتمسك به، فإن نصيحتي لهؤلاء أن يَتَّقُوا الله -عز وجل- في أنفسهم، وأن يعلموا أن دِين الله حق، وهو الذي بُعث به محمد ﷺ وأن أركانه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، فعليهم أن يتوبوا إلى الله -عز وجل- من هذا الكفر والشرك البالغ غايته.

وعليكِ أيضًا أن تحرصي على مُناصحتهم ما أمكن، ولا تيأسي مِن صلاحهم، فإن الله -سبحانه وتعالى- مُقَلِّبُ القلوب، فربما -مع كثرة البيان والنصح والإرشاد- يهديهم الله -عز وجل- وإذا تعذر إصلاحهم، فإن الواجب هَجْرُهم، والبعد عنهم، وعدم الجلوس إليهم، لأنهم حينئذ مرتدون عن دين الإسلام، والعياذ بالله.

وأما قول بعضهم لك: إنك إذا استمعت إلى برنامج نور على الدرب، أو غيره من الكلمات النافعة ستصابين بالجنون. فإن هذا خطأ منهم، خطأ عظيم، وهو كقول المكذِّبين للرسل: إنهم -أي الرسل- مجانين وكُهَّان وشعراء، وما أشبه ذلك من الكلمات الْمُشَوِّهَة التي يُقصَد بها التنفير عن الحق، وأهل الحق، فاستمري أنت على هداية الله -عز وجل- وعلى الاستماع لكل ما ينفع، وعلى القيام بطاعة الله -سبحانه وتعالى- واعلمي أن العاقبة للمتقين.

***

(٦٢٠٧) يقول السائل ر. ع. م. أ: نريد منكم وَصِيَّة للوصول إلى الطريق الأصلح والأصوب في مجتمعنا الذي مُلئ بالانحرافات، حيث يوجد معنا في بلدنا مصر النصارى، وتوجد المتبرجات وغير ذلك مما عَدَّده، ولا نريد الإطالة به؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإرشاد في ذلك هو أن يعيش الإنسان بين هؤلاء عِيشة الحذِر الخائف، ويحرص بقدر ما يستطيع على أن يفعل هو ما شَرَعَه الله ورسوله له من العبادات، يحرص على السيرة الجميلة في مجتمعه، ويدعو إلى سبيل الله -تعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة ما استطاع، فإذا رأى شُحًّا مُطاعًا، وهَوًى مُتَّبعًا، ودُنْيا مُؤْثَرَة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فليحرص على نجاة نفسه، ولْيَدَعْ عنه أَمْرَ العامَّة.

وهذا- أعني تقوى الله -عز وجل- هو ما وصى به الله -تعالى- جميع الخلق ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]. والمؤمن العاقل يعرف كيف يسير، وكيف يتخلص مع هؤلاء القوم الذين أشار السائل إلى سلوكهم.

***

(٦٢٠٨) يقول السائل: أنا سائق مصري مُتَحيِّر في تَصَرُّف زوجة كَفِيلي، حيث إنها تأخذ حاجات من المنزل، وتأمرني أن أنزل بها إلى السوق، ثم تدخل بعض الدَّكاكين، ثم تدخل إلى المكاتب الداخلية، وتتصل بالتليفونات ساعة ونصف الساعة، أو أكثر، أو تستخدم تلفون الشارع. ويقول: إنها تُهَدِّده بالطَّرْد وَبإلصاق التُّهَم به، فهل يخبر زوجها بذلك، لأنه لا يرضى هذا التصرف منها، وهو رجلٌ مسلم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حقيقة الأمر أن هذا التصرف الذي أشرت إليه، إذا كان حقًّا، فإنه تصرفٌ سيئ، ولا يرضاه أحدٌ من المسلمين، ونحن نشكرك على هذه الغيرة على صاحبك الذي أنت عنده، بل وعلى هذه الغيرة

على زوجته أيضًا، لأن النبي ﷺ يقول: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**». **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»**[١].

فأنت ناصحٌ لكَفِيلك، ولزوجته أيضًا، وعليك في هذه الحال إذا لم يُفِد معها النصح أن تخبر زوجها بذلك، لتَخْرُج من المسئولية، وأنت إذا أخبرته بذلك فلن يَضيرك شيءٌ -إن شاء الله- لأن الله قد تكفَّل بأن مَن اتقى الله -تعالى- جَعل له مَخْرجًا، ورَزَقَه من حيث لا يحتسب.

***

(٦٢٠٩) يقول السائل: ما حكم من يأمر أبناءه بالصلاة من سن التمييز حتى بلغوا سِنَّ الخامسةَ عشَرَ، وبعد ذلك لا يستجيب هؤلاء الأبناء لآبائهم؟ فبماذا توجهون الآباء نحو هذه المسئولية في المحافظة على الصلاة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إني أظن أن مَن اتقى الله -عز وجل- واتَّبع هدي النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وإرشاده، في أمر أولاده مِن ذكور وإناث بالصلاة لسَبْعٍ، وضَرَبهم عليها لِعَشْر، وسأل الله لهم الهداية، لا أظن أن الله -عز وجل- يخيبه في أولاده، وأنهم سيستقيمون، لكن المشكل أن بعض الناس يهمل هذه الأمانة، ولا يبالي بها، أصلَّى أولاده أم لم يُصَلُّوا، أصَلَحوا أم فسدوا، أَسْتَقَاموا أم جَاروا، ثم إذا كَبَرُوا عُوقب بِعُقُوقهم إياه، لأنه لم يَتَّق الله فيهم، فلم يَتَّقُوا الله فيه، فلا أظن أن أحدًا اتقى الله في أولاده، وسلك سبيل الشريعة في توجيههم إلا هدى الله -سبحانه وتعالى- أولاده.

***

(٦٢١٠) تقول السائلة: إنها عصبية، وكثيرة القلق، ولا تستطيع الصبر على أتفه الأمور، بل تقول: ربما لا أملك مثقال ذرة من الصبر، وكثيرة الشكوى

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب: أعِن أخاك ظالما أو مظلوما، رقم (٢٣١٢).

من المرض مع علمي بأن هذا ليس في مصلحتي، وأعلم بأن الشكوى تكون لله -عز وجل- فما نصيحتكم لي يا فضيلة الشيخ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتي لها ولأمثالها أن يُكثروا من ذكر الله -عز وجل- فإنه بذكر الله تطمئن القلوب، وأن يبعدوا عن الأوهام والتخيلات، وألا ييأسوا من رَوْح الله، ولا يَقْنَطوا من رحمة الله، وأن يحاولوا أن تكون صدورهم دائمًا منشرحة، وأن يتناسوا ما يحصل لهم من نَكَبات، فإن مثل هذه الأمور كُلّها سبب في زوال القلق.

ومن أهم ذلك أيضًا أن يعلم أن ما أصابه، فإنه بقضاء الله وقدَره، وأن لله -تعالى- أن يفعل في خلقه ما شاء، لأنه -عز وجل- لا يفعل شيئًا إلا لحكمة عظيمة.

***

(٦٢١١) يقول السائل ع. م: بعض الناس يَتَصَدَّوْنَ للفتوى، وليس عندهم عِلْم شرعي يؤهلهم لذلك، فما نصيحتكم لمثل هؤلاء.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتي لهؤلاء أن يقرءوا، قول الله -تعالى- ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقول الله -تعالى- ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقوله -تعالى- ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

فكل إنسان يُفتي بغير عِلم، فإنه ظالم لنفسه، وظالم لإخوانه، ولا يُوفَّق للصواب، لأن الله قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

فعلى هؤلاء أن يَتَّقُوا الله في أنفسهم، وأن يَتَّقُوا الله في إخوانهم، وألا يتعجلوا، فإن كان الله أراد بهم خيرًا ألْهَمَهُم رُشْدهم، ورزقهم العِلْم، وصاروا أئمة يُقْتَدى بهم في الفتوى، فلينتظروا وليصبروا.

أما بالنسبة للمستفتين: فإننا نُحذِّرهم من الاستفتاء لأمثال هؤلاء، ونقول: العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم -والحمد لله- موجودون إما في البلاد نفسها، وإما في بلد آخر، يمكنهم الاتصال عليهم بالهاتف، فيحصل المقصود إن شاء الله.

***

(٦٢١٢) يقول السائل: ما هي الأسباب المُعِينة على أداء الصلوات في أوقاتها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أكبر الأسباب وأعظمها هو الإيمان بالله -عز وجل- والخوف من عقابه، فمتى كان الإنسان مؤمنًا بالله، فإنه لا يمكن أن يُضيِّع الصلاة، ويؤخرها عن وقتها، وإذا كان عند الإنسان تقوى من الله، وخوف منه، فإنه لا يمكن أن يؤخر الصلاة عن أوقاتها، فأهم شيء هو العقيدة والإيمان، وتقوى الله -عز وجل- وإذا كان إهمال الصلاة لأسباب معينة، فإن مما يُعِين على إقامتها أن يدع هذه الأسباب، مثل: أن يكون سبب تركه لصلاة الفجر طول سَهَرِه، فإنه يجب عليه أن يَدَعَ طُول السهر، حتى يتمكن من صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة، وإذا كان سبب التهاون في الصلاة هو البيع والشراء وجب عليه الكَفّ عن البيع والشراء -إذا حان وقت الصلاة- فيصليها مع الجماعة، وهَلُمَّ جَرًّا.

***

(٦٢١٣) تقول السائلة: الكثير من الناس يَشْكُون مِن المَلَل مِن كثرة الفراغ، فبماذا تنصحون هؤلاء مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شَكَّ أن الْمَلَل قتل للنفس، وإفساد للبدن، وجَلْب للهموم والغموم، ومِن أكبر أسبابه ما يتسابق الناس إليه اليوم مِن جَلْب الخادمات في البيوت، حتى أصبحت الربات في بيوتهن ليس لها شغل في البيت، فتجد المرأة دائمًا في هَمٍّ، تجلس في إحدى زوايا البيت ليس لها إلا الهمّ، أو أن تخرج إلى الأسواق، أو إلى الجيران فتتعبهم.

ولو سَلِم الناس من هؤلاء الخَدَم، وصارت المرأة هي التي تخدم في بيتها، كما هو شأن نساء الصحابة في عهد الصحابة، وكما هو شأن الناس إلى يومنا هذا، لكان هذا خيرًا وأَوْلى، وفيه حفاظ المرء على ماله، وحفاظه أيضًا على عِرْضه، وحفاظ أهله من الخَوَاءِ الفِكري والبَدني.

وبهذه المناسبة أنصح إخواني المسلمين بالبعد عن جَلْب الخدَم إلا للضرورة القصوى التي لا يمكن دفعها إلا بذلك، أما إذا كان الحامل على هذا زيادة التَّرَف والتَّنَعُّم، فإن هذا يَجُرُّ بلاءً كثيرًا، وتحصل به المفاسد إلا أن يشاء الله، ولا سِيَّما إذا جاءوا بامرأة كافرة، فإن ذلك أقبح، لأنه ربما يكون هناك أطفالٌ يَغْتَرُّون بها، وربما يكون هناك أطفالٌ بلغوا سن التمييز فيتساءلون: لماذا لا تُصلي هذه، ولا تتوضأ، ولا تصوم؟ فيحصل في نفوسهم تهوين الدين، والعمل به، ولا سِيَّما إذا لم يكن معها مَحْرم، فإن الخَطَر يكون أعظم وأكبر.

والمهم أن هذه المشكلة -في الواقع- لا يمكن حلها إلا أن يتقلص الطلب على هؤلاء الخدم، ويرجع الناس إلى حالهم الأولى، إلا عند الضرورة القصوى التي لا بد من وجود الخادم فيها.

***

(٦٢١٤) تقول السائلة: في بعض الأحيان يُحِسُّ الفَرْد بِقِلَّةٍ في إيمانه، وبأنه بدأ بالابتعاد عن الطاعات، فبماذا يُوَجَّه مثل هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شَكَّ أن الإنسان لا يمكن أن يكون على وَتِيرة واحدة في إيمانه، وحضور قلبه، بل الإنسان ساعة وساعة، ولهذا أُمرنا بالطاعات في أوقات مختلفة: من صلاة الفجر، ومن صلاة الظهر، ومن صلاة العصر، ومن صلاة المغرب، ومن صلاة العشاء، ثم التهجد، كل هذا من أجل إحياء ذِكْر الله -عز وجل- في قلوبنا، لأن الإنسان لا بد أن تصيبه فترة يَكْسَل

فيها عن طاعة الله -عز وجل- ولهذا قال النبي ﷺ: «**سَاعَةً وَسَاعَةً**»(١). يعني: ساعة للعبادة، وساعة للأُنس بالأهل، والاجتماع إليهم، والتحدث إليهم، وما أشبه ذلك، ولكن على الإنسان أن يلاحظ قلبه دائمًا، وأن يحرص على تطهيره من الشَّكِّ والشِّرْك والغِلِّ والحِقْد على المسلمين، وغير ذلك مما يَضُرُّ القلب.

***

(٦٢١٥) تقول السائلة: إني متزوجة من إنسان طيب جدًّا ويُقَدِّرني، ولي منه ثلاثة أولاد، ولكنه لا يصلي في المسجد، ولكنه يواظب على الصلاة في البيت سواء كان مشغولًا أم لا، وأُلِحُّ عليه أن يصلي في المسجد مع الجماعة، فيوافق أحيانًا، ويرفض أكثر الأوقات، ولكنه يواظب على الصلاة في البيت، فماذا يجب عليَّ أن أفعل تجاهه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس على هذه المرأة السائلة أكثر مما صنعت مع زوجها، وهو النصيحة، لكن ينبغي لها أن تكرر النصيحة له على وجهٍ لا يحصل به مَلل، لأن مِنْ حَقِّه عليها أن تناصحه.

***

(٦٢١٦) يقول السائل: يوجد عندنا عادة غير محمودة، وهي يا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، إذا حدَث خصامٌ بين الرَّجُل وأخيه المسلم لا يكلمه لفترةٍ طويلة، وإذا قابله في طريقٍ يرجع من طريقٍ آخر، ولا يُلقي عليه السلام، وإذا ذهب إلى المسجد للصلاة، فوجد الرجل الذي يخاصمه يصلي إمامًا، لا ينوي الصلاة خلفه، بل يترك المسجد ويخرج، فما نصيحتكم لمثل هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتنا لهؤلاء الذين تصل بهم الحال إثر الخصومات إلى ما ذكره السائل من الهجر والقطيعة والبغضاء والكراهية،

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم (٢٧٥٠).

نصيحتنا لهم أن يَتَّقُوا الله -عز وجل- وأن يعلموا أن هذا من نَزَغَات الشيطان ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١] وكذلك في غيرهما.

فعلى العبد أن يتقي الله -عز وجل- وألا يهجر أخاه المؤمن لعداوةٍ شخصية، لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»(١).

نعم للإنسان أن يهجر أخاه ثلاثة أيامٍ فأقَلّ، من أجْل إعطاء النفس شيئًا من الحرية في معاملة هذا الذي أساء إليه، أما ما زاد على ثلاث، فإنه لا يَحِلّ هجره إلا لسببٍ شرعي، مثل أن يكون هذا الرجل مُعلنًا بالمعاصي والفسوق، فيُهْجَر لعله يتوب إلى الله، ويرجع إذا رأى أن المسلمين قد هجروه.

والواجب على العبد أن يصبر على طاعة الله، وأن يصبر عن محارم الله، وأن يضغط على نفسه في إقامة شرع الله -عز وجل- حتى لو قالت له نفسه: لا تُصَلِّ خَلْفَ هذا، ولا تُلْقِ السلام عليه، ولا تُكَلِّمه، وإذا وجدته في طريق فانصرف إلى طريقٍ آخر. وما أشبه ذلك، فَلْيَعْصِ نفسه، وَلْيَقُمْ بما أوجب الله عليه، وإذا عَلِم الله منه حُسْن النية، وقَصْدَ الحق، فإن الله -تعالى- سيُعِينه على ذلك، ويخفف عليه الأمر.

***

(٦٢١٧) تقول السائلة أ. ف. ب: نرجو من فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، أن يلقي كلمة موجزة يَحُثُّ فيها الشباب على الزواج من فتيات بلدهم، ولا يخرجون عن ذلك مأجورين؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم (٥٧٢٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي رقم (٢٥٦٠).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إنني أَحُثُّ الشباب على الزواج، لأن النبي ﷺ حَثَّهم على ذلك، فقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١). وأَحُثُّهم على ما حَثَّهُم عليه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يتزوجوا ذات الدِّين والخُلق، لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(٢).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»(٣). لأن الوَدُود -أي كثيرة التَّوَدُّد- يحصل منها من المعاشرة الطيبة ما لا يحصل من غيرها، والودود أيضًا تَحْمِل زوجها على مُواقعتها فيكثر الأولاد.

وأحث أبناءنا على أن يتزوجوا من بنات أبناء جنسنا من البلد، لأنهن أقرب إلى الانضباط، وإلى معرفة مقصود الزوج، وإلى معرفة العادات، وإلى قِلة المئونة، ولست أريد بقلة المئونة قِلَّة المهر، لأن الغالب أن نساء البلد أكثر مهرًا من نساء البلاد الأخرى، لكن ما يترتب على النكاح فيما بعد من نساء البلاد الأخرى يكون كثيرًا ومثقلًا، تجدها تحتاج إلى السَّفَر في السَّنَة مرة على الأقل، وتحتاج إلى مئونة السفر، وتحتاج إلى أن يسافر بها الإنسان بنفسه، أو يستجلب لها محرمًا من بلدها، وتحتاج إلى هدايا لأهلها وأقاربها، فمئونتها كثيرة. ثم إنه إذا قدر الله -تعالى- انفصالًا بينها وبين زوجها، حصل من المشكلات إذا كان بينهما أولاد ما لا يستطيع الإنسان التخلص منه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر، وأحصن للفرج». رقم (٥٠٦٥)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم (١٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم (٤٨٠٢)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين رقم (١٤٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، (٢٠٥٠).

ثم إن عاداتها وما كانت عليه في بلادها في الغالب تخالف ما عليه العادات هنا، فيحصل بذلك تَعَسُّف وتَأَسُّف، لأنها إما أن تغلب الزوج في عاداتها، وإما أن يغلبها في عاداتها، وحينئذ يكون التَّعَسُّف في الغالب، أو التَّأَسُّف مع المجاملة، ومَن تَأَمَّل ما حصل ويحصل عَرَف الواقع.

ثم إن لدينا في بلادنا نساءً كثيرات بَقِينَ بلا تزوُّج، فهل نجلب بنات الناس من الخارج، وندع بَنَاتِنا للهَمِّ والغَمِّ والفتنة؟ هذا غير لائق.

قد يقول الشاب: الْمُهُور في نسائنا كثيرة. فنقول: نعم، لكن ليس الحل أن نجلب بنات البلاد الأخرى إلى بلادنا.

والحل أن نحاول -بقدر المستطاع- القضاء على هذه الظاهرة، وهي كثرة المهور، وذلك باجتماع الشرفاء والوجهاء في البلاد على تحديد شيء مُعَيَّن للمصلحة، ونقول: هذا المهْر المقرر للشَّابَّة البِكر، وهذا المهْر مقرر للكبيرة الثَّيِّب. ثم إذا تزوج الرجل فَلْيُعْطِ امرأته ما شاء، ولا أحد يمنعه، أو تعطيه هي ما شاءت من مَهرها إذا كانت رشيدة، ولا أحد يمنعها، وإذا لم يجد اجتماع الكبراء والشرفاء، فلا مانع عندي من أن يتدخل وُلاة الأمور في هذا، ويَحُلُّوا المشكلة بأي حَلٍّ يريدونه، وهو لا يخرج عن نطاق الشرع، لأن الواقع أن هذه مشكلة يحصل بها الشر والفساد، فلذلك أدعو إخواننا المسلمين إلى الجدية في إيجاد حَلٍّ لهذه المشكلة على المستوى القَبَلي، أو البَلدي، أو المستوى الحكومي، حتى تَنْحَلَّ هذه المشكلة، ويتزوج شبابنا من شاباتنا، ونكون أسرة واحدة.

***

(٦٢١٨) يقول السائل ح. أ: أنا دائمًا أسرح وأفكر دائمًا، حتى في الصلاة وقراءة القرآن أحيانًا، وفي بعض المرات تمضي نِصف خُطبة الجمعة وأنا أفكر، ولا أدري ماذا قال الإمام في الخطبة، وأنا لا أدري ماذا أفعل، هل عليَّ إثم أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: إن الواجب على من حضر الجمعة أن

يستمع إلى خطبة الإمام، ولا يجوز له أن يتشاغل عن استماعها بكلام، ولا غيره، وهذه الوساوس والهواجس والتفكيرات التي تحدث لك في هذه الحال هي من الشيطان، لِيَصُدَّكَ عن ذِكْر الله، فإن الله -تعالى- يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

والواجب عليك أن تحاول بِقَدْر ما تستطيع التخلص من هذا الأمر، حتى تُقبِل على عبادتك وأنت مستريح غير مُشَوَّش، وتستمع إلى الخطبة، وتنتفع بها، ولا تكون كالذين قال الله -تعالى- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: ١٦]، بل استمع وانتبه وتأمل وتفكر في معاني ما يقوله الخطيب، حتى تنتفع من هذه الخطبة الأسبوعية التي أوجبها الله -تعالى- وأوجب السعي إليها.

***

(٦٢١٩) تقول السائلة غ. أ: إنها طالبة في المرحلة الثانوية، وقد أُعجبت بمُدَرِّسة تتصف بالالتزام والخُلق، ولكن المشكلة أن بعض الصديقات يُسِئن إلى هذه المُدَرِّسة بقولٍ أو فِعلٍ، لأن هذه المعلمة تنصحهن وترشدهن وتمنعهن من اللبس المخالف للسُّنَّة في المدرسة، فيَقُمْن بالإساءة لها، والضحك عليها، فماذا أفعل، وقد قمت ونصحت الطالبات، ولكن لا فائدة، فأرجو توجيه كلمة يا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ محمد للطالبات وللمُعَلِّمَة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الطالبات فنصيحتي لهن أن يتقين الله -تعالى- وأن يحترمن حقوق المسلم، وألا يَسْخَرْن بمن يلتزم بدين الله، ويأمر بالالتزام، بل إن من يلتزم بدين الله، ويأمر بالالتزام جدير بأن يُكْرَمَ ويُحْتَرَمَ، لأنه قام بطاعة الله.

وأما بالنسبة للمُعَلِّمة، فعليها الصبر والاحتساب، وأن تعلم أن كل مَن تمسَّك بدِين الله فسيجد له أعداء، قال الله -تبارك وتعالى- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

والمتبعون للأنبياء لا بد أن يكون لهم عدُوٌّ من المجرمين، فعليها أن تصبر وتحتسب، وإذا وصل الأمر إلى حدٍّ لا يُطاق، فإن لها الحق أن ترفع الأمر إلى إدارة المدرسة، وإدارة المدرسة يجب عليها أن تؤدب مثل هؤلاء الطالبات، لظهور عُدْوانهن.

***

(٦٢٢٠) يقول السائل: زوجتي تحلف أيمانًا كاذبة، وتَسُبُّ أُمَّ الزوج وإخوانه، فما نصيحتكم لهذه الزوجة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتي لهذه الزوجة أن تكون حسنة الآداب مع أم زوجها، لأن ذلك مما يزيد زوجها رضًا عنها، ومما يزيد الزوج إحسانًا في عشرتها، وهي مأجورة على ذلك، وإذا ساءت العشرة بين الزوجة وأُمِّ الزوج، أو أبي الزوج، أو أقارب الزوج فالغالب أنها تسوء العشرة بين المرأة وزوجها أيضًا، فتكون حياتها نكدًا، وربما يحدث بين الزوجين أولاد فيسوؤهم أن يروا أُمَّهم وأباهم على هذه الحال.

فنصيحتي للزوجة أن تصبر وتحتسب، وتحسن إلى أم زوجها وأبيه، ومَن يَعُزُّ عليه من الأقارب.

كما أني أنصح أيضًا بعض الأزواج الذين يريدون من زوجاتهم أن يَكُنَّ خدمًا لأمهاتهم، فإن هذا غلط محَض، فالزوجة ليست خادمة لأم الزوج، ولا لأبي الزوج، وخدمتها لأم الزوج، وأبي الزوج، معروف منها وإحسان، ليس مفروضًا عليها، أما خدمتها لزوجها، فهذا يرجع إلى العرف، فما جرى العرف بأنها تخدم زوجها فيه وجب عليها خدمته فيه، وما لم يَجْرِ به العُرف لم يجب عليها، ولا يجوز للزوج أن يُلزِم زوجته بخدمة أُمِّه، أو أبيه، أو أن يغضب عليها إذا لم تقم بذلك، وعليه أن يتقي الله، ولا يستعمل قُوَّتَه، فإن الله -تعالى- فَوْقَه وهو العلي الكبير -عز وجل- قال الله -تعالى- ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

(٦٢٢١) **تقول السائلة ف. م**: البعض من الناس يعملون أشياء تخالف الشرع، ويقومون بالنفاق، أو الهَمْز، أو اللَّمْز، وعندما أقول لهم: إن هذا حرام، وإن الله -سبحانه وتعالى- سيحاسب على ذلك. يقولون: يوم الجحيم ربنا رحيم. فماذا تقولون أنتم لمثل هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول لمثل هؤلاء الذين يعملون السيئات، ويَتَّكِلُون على مغفرة الله ورحمته: إنهم على خطر عظيم، فإن الله -تعالى- يقول في كتابه ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] ويقول جل وعلا ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة: ٩٨-٩٩].

فهذا الاتكال الذي يحصل من بعض الناس المفرِّطين المهمِلين لا شَكَّ أنه من إيهام الشيطان، ووحي الشيطان، وما يدري هذا الرجل أتكون هذه المعاصي التي هي في نفسه سهلة بريدًا لمعاصٍ أكبر منها، ثم للكُفْر بالله -عز وجل- ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ(١).

وقال أهل العلم: الإصرار على الصغيرة كبيرة، والكبائر لا تغفر إلا بتوبة، مع أن الهَمْز واللَّمْز إذا كان بالنسبة للمؤمنين، فقد تَوعَّد الله عليه بالويل فقال ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١].

فالواجب على المؤمن أن يتقي الله -عز وجل- وليعلم أن الله شديد العقاب، وأنه غفور رحيم، ففي جانب المعاصي يجب أن ينظر من زاوية العقاب، حتى يرتدع عن المعصية، وفي جانب الأوامر إذا قام بها، وحَصَل شيء من التقصير، فلينظر من زاوية المغفرة والرحمة، وبهذا السير على هذا النحو

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب ما يتقى من محقرات الذنوب، رقم (٦٤٩٢).

يتحقق أن يكون سَيْرُه على الوجه المطلوب، أي: بين الخوف والرجاء، فإن الإنسان إذا سار إلى الله -عز وجل- مُغَلِّبًا جانب الرجاء، فقد يَغْلِبُ عليه الأمن مِن مَكْر الله، وإذا سار إلى الله مُغَلِّبًا جانب الخوف، فقد يغلب عليه القُنوط من رحمة الله، وإذا سار إلى الله بين الخوف والرجاء، فقد سار بجناحين متساويين، فيخاف عند الهَمِّ بالمعصية، ويرجو عند فعل الطاعة.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فإن أيهما غَلب هَلَك صاحِبَه.

وقال بعض أهل العلم: الأولى أن يُغَلِّب جانب الرجاء، لقوله -تعالى- في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(١).

وقال آخرون: ينبغي أن يُغَلِّب جانب الخوف، حتى يعصمه ذلك مِن فِعْل الذنوب.

وقال بعض العلماء: يُغَلِّب في حال المرض جانب الرجاء، حتى يلقى الله -عز وجل- وهو يُحْسِن الظن به، وفي حال الصحة يُغَلِّبُ جانب الخوف، حتى يحمله ذلك على ترك المحرمات، وفِعْل الواجبات.

وقال آخرون: يُغَلِّب عند فعل الطاعة جانب الرجاء، وأن الله -تعالى- يقبلها منه، كما يَسَّرَ له فِعْلَهَا، وعند الهمِّ بالمعصية يُغَلِّبُ جانب الخوف، حتى يَرْدَعَه خوفُه عن فِعْل هذه المعصية.

وهذا الأخير هو أقرب الأقوال: أن يكون الإنسان عند فعل الطاعة مُغَلِّبًا لجانب الرجاء، وأن الذي يَسَّرَهَا له سَيَمُنُّ عليه بقبولها، وعند الهَمِّ بالمعصية يُغَلِّب جانب الخوف، ليمنعه ذلك عن فِعْل هذه المعصية.

والإنسان -في الحقيقة- له أحوال، فأحيانًا يجد نفسه منشرحًا مقبلًا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله -تعالى- ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، رقم (٦٩٧٠)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله -تعالى-.

على الله، مُغَلِّبًا جانب الرجاء، وأحيانًا بالعكس يكون خاملًا ساكنًا، فَيُغَلِّبُ جانب الخوف، والإنسان -كما يقول بعض الناس- طبيب نَفْسِه.

والمهم ألا يصل إلى درجةٍ يَقْنَط فيها مِن رحمة الله، ولا إلى درجة يأمن فيها مَكْرَ الله.

***

(٦٢٢٢) يقول السائل م. ج: هناك أشخاص يعملون أشياء مُحَرَّمة في الإسلام، فماذا يجب عليَّ نَحْوَهُم؟ هل أقوم بنُصحهم، وأكتفي بذلك، أم ماذا عليَّ مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواجب عليك أن تقوم بنُصحهم وإرشادهم وتخويفهم من الله -عز وجل- وإذا كنت تخشى ألا يثقوا بقولك، فاستعن على ذلك بأقوال أهل العلم الذين يثق بهم هؤلاء، وأعطهم شيئًا مِن كُتُبهم إن كان لهم كتب، أو أجوبتهم، أو أشرطتهم، حتى يقتنعوا بهذا، فإن لم تتمكن من ذلك، أو تمكنت وفعَلْت، ولكن لم يستفيدوا شيئًا، فحينئذ يجب عليك أن ترفع أمرهم إلى مَن له السُّلْطة عليهم، بحيث يُلزمهم بما يجب عليهم في حق الله -سبحانه وتعالى-.

ولْيُعْلم أن مِن أهَمِّ حقوق الجيران بعضهم على بعض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإذا كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»(١).

وإذا كان قد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(٢). فالواجب علينا أن نَحْرِص على هِداية جارنا، لأن هدايته غذاء للروح، وخير له في دِينِه ودُنْياه، ولا يقول أحد: أخشى إن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار، والإحسان إليه، رقم (٢٦٢٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الوَصَاة بالجار، رقم (٥٦٦٩)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه رقم (٢٦٢٥).

نصحته أن يغضب مني، أو يهجرني. فإن هذا من تخويف الشيطان، بل انصحه ومُره بالمعروف، وانْهَهُ عن المنكر، لأن هذا هو الواجب عليك، والواجب عليه قبولُ الحقِّ مِن أي نَفَرٍ كان، فإن لم يَقْبَل، فقد برئت ذِمَّة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وصار الإثم على مَن خالَف.

***

(٦٢٢٣) يقول السائل ك. ع: فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، لي وَلَد متزوج، وله طفل، ويسكن معي في الدار، إلا أنه يُعَاقِر الخَمْر -والعياذ بالله- يوميًّا، ويسبب المشكلات للعائلة، إضافة إلى تلَفُّظِه بكلمات نَابِيَة، وبالكفر -والعياذ بالله- وبالرغم مِن نُصحي له بترك الخمر والسير مع العائلة السِّيرَةَ الحَسَنَةَ التي يرضاها الله -عز وجل- إلا أنه لم ينتصح، فهل يحق لي أن أطرُده من البيت، لأنه ولدٌ عاقٌّ؟ وكيف أتصرف معه، بحيث لا يغضب الله عليَّ، أو أتحمل الإثم؟ لأنني رجل حجَجْت إلى بيت الله الحرام، وأخاف العقاب، فأرجو نُصْحَنا، وتوجيهنا بذلك مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إنني أُقدِّم النصيحة أولًا لهذا الابن الذي ابتُلي بهذه البَلِيَّة، وهي مُعاقَرَة شُربِ الخمر، وأقول له: إنَّ شُرب الخمر مِن كبائر الذنوب، وإن الخمر مفتاح كل شر، وهي محرَّمة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، قال الله -تعالى- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر، رقم (٣٦٧٤).

وثبت عنه أنه قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ**»(١).

والنصوص في ذلك كثيرة، ومعلومة لكثير من الناس، فالواجب على هذا الابن المبتلى بهذه البلية أن يتوب إلى الله -عز وجل- وأن يُقْلع عنها، وأن يبتعد عن شاربيها، وألا تكون له على بالٍ حتى يَمُنّ الله عليه بالهداية، والله -عز وجل- إذا عَلِم مِن عَبْدِه صِدْق النِّيَّة في التوبة الخالصة، فإن الله -سبحانه وتعالى- يتوب عليه، ويُيَسِّر له التوبة، ويسهلها عليه.

أما النصيحة الثانية، فهي لك أنت أيها الأخ السائل، ولأهل بيتك، وهي أن تشكروا الله -سبحانه وتعالى- على نعمته، حيث عافاكم مما ابتلى به هذا الشخص، وأن تحاولوا نُصحَه مهما أمكن، فإن تيسر وهَداه الله، فهذا لكم وله، وإن لم يفعل، فلا حرج عليكم في إخراجه من البيت، بل قد يكون من الواجب أن تخرجوه من البيت، لئلا يسري خُبْثُه إلى من في البيت، ولئلا يحصل منه ما لا تُحمد عُقْباه من العدوان على أُمِّه، أو على أَخَواته، أو عليك أنت أيها السائل، أو غير ذلك.

المهم أنه إذا لم يَنْتَهِ عما هو عليه من هذه الخبائث، فإن الواجب عليكم أن تُخرجوه من البيت، ولعلكم بإخراجه تكونون سببًا لهدايته، إذا رأى الأمر أنه قد ضاق عليه، وأنه أصبح طريدًا مُبعَدًا عن أهله، فربما يرجع إلى الله -عز وجل- ويتوب إلى الله، ولا أرى أن تُبقوه في البيت إطلاقًا.

***

(٦٢٢٤) تقول السائلة: إنها فتاة تبلغ من العُمر الثالثة والعشرين، ملتزمة، وتحمد الله على ذلك، ولكن المشكلة في أن أباها يتعاطى الخمر والمسكرات فترة طويلة، وذلك سِرًّا، ولكن بِحُكم عملي في البيت تعرَّفت على ذلك، فما الواجب عليَّ، علمًا بأنني لا أستطيع المواجهة والنصح في مثل هذه الأمور؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، رقم (٢٠٠٣).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواجب على هذه المرأة أن تُزْجِي النصيحة لأبيها بأي وسيلة، لأن مِنْ بِرِّ الوالد أن يُسْدِيَ ولدُه له النصيحة، ألم تر إلى إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- حين قال لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢] وناصحه؟

وكذلك نحن يجب علينا أن ننصح أمهاتنا وآباءنا بأي وسيلة، فإذا كانت هذه السائلة لا تستطيع مواجهة أبيها، فإن الواجب عليها أن تكتب له كتابًا بدون توقيع، تُذَكِّره بالله -عز وجل- وتُبَيِّن له النصوص الدالَّة على تحريم الخمر، والوعيدَ الشديدَ على شاربها، فلعل الله -سبحانه وتعالى- أن يُنْقِذَه من ذلك، ولا ينبغي لها أن تيأس من صلاح والدها، فكم من إنسان كان فاسدًا فأصلحه الله -تعالى- بأدنى سبب، والله -سبحانه وتعالى- مُقَلِّبُ القلوب يُقَلِّبُها كيف يشاء، نسأل الله لأبيها الهداية، ونسأل الله لها الإعانة.

***

(٦٢٢٥) تقول السائلة: **إنها فتاة ملتزمة، وتحمد الله على ذلك منذ ما يقارب من سنة، ولكن قلبي في تغيُّر مستمر وتقلُّب، فأحيانًا أشعر بقوة في إيماني، وإقبال على الصلاة بخشوع، وحُبٍّ للخير، وأحيانًا تَقِلُّ هذه القوة، وأشعر بِقَسْوَة في قلبي، فلا أبقى على حال واحدة، لدرجة أني بدأت أشعر بالخوف على ديني، وأخشى أن أعود كما كنت، وأشعر بأن إيماني بدأ يقل تدريجيًّا، وَجِّهُوني يا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، بما يُقَوِّي إيماني، وادعوا لي بالهداية، والثبات على الحَقِّ؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نسأل الله لنا ولها الهداية، والثبات على الحق، والإنسان بَشَر يتغير بحسب ما يَرِدُ على قلبه، وما ينظر إليه بعينه، ويسمع به بأذنه، ولكن على المؤمن أن يسأل الله -تعالى- الثبات دائمًا، وأن يفعل الأسباب التي يثبت بها إيمانه، من كثرة مراقبة الله -عز وجل- وذكره بالقلب واللسان والجوارح، وقراءة القرآن بتَدَبُّر وتَفَكُّر، فإن قراءة القرآن على هذا الوجه تُلِينُ القلب، وتزيده إيمانًا.

وكذلك يُكثر مِن مخالطة أهل الخير والصلاح الذين يُعِينُونه إذا ضَعُف، ويُذَكِّرونه إذا نسي، والمهم أن يسأل الله -تعالى- الثبات دائمًا، مثل أن يقول: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك. وما أشبه ذلك من الأدعية، وسيجد الخير -إن شاء الله تعالى- ولكن لا يتقاعس، ولا ييأس من رحمة الله، ولا ينظر إلى ما وراءه مما كان عليه من معصية الله -عز وجل- بل ينظر إلى ما أَمَامَه من الطاعة والخير والثواب الجزيل لمن أطاع الله.

***

(٦٢٢٦) يقول السائل ع. ع: الكثير من الزوجات -هَدَاهُنَّ الله- لا يُردن مِن أزواجهن أن يتزوجوا عليهن، فأريد بذلك نصيحة لهُن مِن قِبَل الإذاعة في برنامج «نور على الدرب» جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم النصيحة في ذلك أن نقول أولًا للأزواج: لا ينبغي أن تتزوج بأكثر من واحدة إلا إذا كان الإنسان عنده قُدرة في المال، وقُدرة في البَدَن، وقُدرة في العدل، فإن لم يكن عنده قُدرة في المال، فإنه ربما يكون الزواج الثاني سببًا لتكاثر الديون عليه، وشغل الناس إياه بالمطالبة، وإذا لم يكن عنده قُدرة في البَدَن، فإنه ربما لا يقوم بحق الزوجة الثانية، أو الزوجتين جميعًا، وإذا لم يكن عنده القُدرة على العدل، فقد قال الله -تعالى- ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ٣].

فإذا كان عند الإنسان قُدرة في المال والبدن والعدل، فالأفضل في حقه التَّعَدُّد بأن يتزوج أكثر من واحدة، لما في ذلك من المصالح الكثيرة التي تترتب على هذا، كتحصين فَرْجِ المرأة الثانية، وتكثير النسل الذي كان النبي ﷺ يحبه، وإزالة ما في نفس الإنسان من الرغبة في التزوج بأخرى.

أما بالنسبة للمرأة السابقة، فنصيحتي لها ألا تحول بين الإنسان، وبين ما شرع الله له، بل ينبغي لها إذا رأت من زوجها الرغبة في هذا، وأنه قادر بماله

وبدنه، ومستطيع للعدل، أن تكون مُشجِّعة له على ذلك، لما في هذا من المصالح التي أشرنا إليها، وأن تعلم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان معه عِدَّة زوجات، وأن تعلم أنه ربما يكون في ذلك خير لها، فالمرأة الثانية قد تعينها على شئونها، وتقضي بعض الحقوق التي لزَوْجِها، مما تكون الأولى مُقَصِّرة فيه في بعض الأحيان.

والمهم أن نصيحتي للنساء ألا يَغِرْنَ الغَيْرة العظيمة إذا تزوج الزوج عليهنّ، بل يصبرن ويحتسبن الأجر من الله، ولو تكلَّفن، وهذه الكُلْفَة، أو التَّعَب يكون في أول الزواج، ثم بعد ذلك تكون المسألة طبيعية.

***

(٦٢٢٧) يقول السائل: إنه يعمل مع رجُل يُصِرُّ على ارتكاب بعض المخالفات، ولا يعبأ بالنصيحة، وقد أحضرتُ له بعض الكتب الشرعية، عَلَّه يستنير بها، ولكن دون جَدوى، فهل أترك العمل معه، رغم ندرة العمل عندنا، أم أن نصحي، وإرشادي له قد يجعله يتراجع عن معاصيه؟ نرجو النصيحة والإرشاد.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النصيحة في هذا الشأن يمكن أن نوجهها إليك وإليه، أما بالنسبة لك، فالواجب عليك أن تُتابع النصيحة ما دُمتَ ترجو أن يكون لها أثر في إصلاح هذا الرجل، ولا تَمَلَّ، ولا تسأم، ولا تيأس، فإن الباب قد لا ينفتح في أول محاولة، وينفتح في المحاولة الثانية، أو الثالثة، أو الرابعة، أو أكثر، واسأل الله له الهداية، فإن دعاءك لأخيك في ظهر الغيب حَرِيٌّ بالإجابة، لأن الملَك يقول: آمين ولك بمثله، وادعُه بالتي هي أحسن، فإن أبى وأصَرَّ على ما هو عليه من المعصية، فإن كان يفعل المعصية بحضورك، لأن طبيعة العمل تقتضي أن تكون حاضرًا وهو يعمل المعصية، فلا يجوز لك أن تبقى في هذا العمل، لأن الجلوس مع أهل المعاصي معصية، ومشاركةٌ لهم في الإثم، كما قال الله -تعالى- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ

ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠]، أي إن قعدتم معهم فأنتم إذًا مثلهم.

أما إذا كانت المعاصي التي يعملها خارج العمل الذي أنت مشاركٌ له فيه، فإنه لا يضيرك أن تبقى في عملك، لأنك لم تشاهد المعاصي التي يفعلها، ولم ترضَ بها، هذا بالنسبة للنصيحة لك.

أما نصيحتي له، فإنني أقول: عليه أن يتقي الله في نفسه، وأن يتوب إلى الله -عز وجل- لأن الله -عز وجل- أوجب التوبة على عباده من جميع الذنوب، قال الله -تعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم: ٨].

وأمر النبي ﷺ بالتوبة إلى الله، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى الله، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ**»(١).

فالواجب عليه أن يُقلع عن الذنب، ويندم عليه، ويعزم على ألا يعود إليه في المستقبل، حتى تكون توبته نَصُوحا، لئلا يَفْجَأه الموت وهو مقيمٌ على معصيته، فلا تنفعه التوبة حينئذٍ، لقول الله -تعالى- ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨].

فالإنسان لا يدري متى يَفْجَؤُه الموت، فنصيحتي له، ولكل مُذْنِب مُشْفِقٍ على نفسه أن يتوب إلى الله، ويُقْلع عن ذَنْبه قبل ألا يكون له مَنَاصٌ منه.

***

(٦٢٢٨) يقول السائل: في رمضان يكثر القُرَّاء لكتاب الله -عز وجل- وهذا طيِّب وأجرُه كبير وعظيم، ولكن بعد رمضان قد يُهْجَر القرآن، حتى يأتي

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢).

رمضان الآخر، ويبقى على الأَرْفُف، فبماذا تنصحوننا، وتنصحون المسلمين في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ننصح إخواننا المسلمين -ولا سِيَّما حَفَظَة القرآن- أن يتعاهدوا القرآن بالتلاوة، لينالوا الأجر، ويكونوا على ارتباط بكلام الله -عز وجل- وأن لا يدعوا وقتًا من أوقاتهم، إلا وَلَهُم فيه خير مِن قولٍ، أو عمل، وأحُثُّ إخواني حُفَّاظ القرآن على تعاهده، لأن النبي ﷺ أمَر بذلك فقال: «**تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(١).

فينبغي على حَفَظَة القرآن ألا يُهملوه، لأن إهماله والإعراض عنه حتى يُنسى قد يكون فيه إثمٌ كبير.

وهنا مسألة أُحب أن أُنبه عليها، وهي: أن بعض الشباب يتهيب من حفظ القرآن ويقول: أنا لا أحفظه، أخشى أن أنساه، فأكون على إثم، وهذا -لا شك- من وساوس الشيطان وتثبيطه عن الخير، فأنت يا أخي ما دمت في زمن الشباب، فاحفظ القرآن وتعاهده، واستعن بالله عليه، واحرص على ثَباته في قلبك، وإذا نسيت آيةً مع الاجتهاد فلا إثم عليك إطلاقًا، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ صلّى ذات ليلة وقرأ ونسي آيةً من القرآن، فذكَّره بها أُبَيُّ بن كَعْبٍ بعد الصلاة، فقال: «**هَلَّا أَذْكَرْتَنِيهَا**»(٢).

ومَرَّ برجلٍ يقرأ القرآن، فقال: «**يَرْحَمُهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، رقم (٤٧٤٦)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضائل القرآن وما يتعلق به رقم (٧٩١).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب الفتح على الإمام في الصلاة، رقم (٩٠٧).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن، وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا، رقم=

فالحاصل أن الإنسان إذا اجتهد، وحَفِظ القرآن وتعاهده، ثم نسي منه ما نسي، فلا إثم عليه بلا شك، فعليك أيها الشاب أن تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن تستعين بالله -عز وجل- على حفظ كتابه -سبحانه وتعالى- وأن تبدأ بحفظ القرآن، وأن تحفظ أوقاتك من إضاعتها بلا فائدة، وفي بلادنا -ولله الحمد- حلقات كثيرة مِن حِلَق تعليم القرآن حفظًا ونظرًا، فنسأل الله -تعالى- أن يَعُمَّ بها جميع بلاد الإسلام، وأن يحفظ بها عباده المؤمنين.

***

(٦٢٢٩) تقول السائلة أ. س. أم: أنا فتاة مُنتَقِبَة، وأحمد الله على ذلك، ولكن والدتي ترفض الخروج معي لزيارة الأهل والأقارب، لأنها تعتقد بأنني مصدر إحراج لها، وهي غير راضية عن تصرفاتي بلبس النقاب، وعدم مصافحة الرجال، وأمور الالتزام الأخرى، فكيف أتصرف معها، وبماذا تُرشدونني مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب على هذا من وجهين:

الوجه الأول: بالنسبة لأمك، فإنني أنصحها بأن تدع هذا الأمر، وهو مضايقتك من أجل التزامك، وأقول لها: إن الواجب عليها أن تحرص على معونتك على البِرِّ والتقوى، وأن تحمد الله -عز وجل- أن جعل مِن ذُرِّيَّتِها ذُريةً صالحة، وكل إنسان -بلا شك- يفرح إذا كان أولاده صالحين من بنين، أو بنات، والولد الصالح -ذكرًا كان أو أنثى- هو الذي ينتفع به والده بعد مماته، لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١). ولا يحل لها أبدًا أن تضايقك على فِعل المعروف، وترك المنكر.

= (٤٧٥١).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

أما الوجه الثاني: فهو بالنسبة لك، فأنتِ التزمي حُدود الله، ولا يَهُمَّكِ أحدٌ، لا أُمُّك، ولا غيرها، فأنتِ إذا فعلتِ ما يُرضِي الله، فلا يهُمّك أن يسخط عليك جميع الناس حتى أُمّك، ومن سخط عليك بسبب طاعة الله فليسخط، ولا تهتمي به أبدًا، وأما كونها تأبى أن تخرج معك، وترى أن ذلك إحراجٌ لها، فهذا مِن قِلَّة بصيرتها، فإنه ليس في النقاب، ولا في الامتناع عن مصافحة غير المحارم إحراجٌ أبدًا، بل هو من نعمة الله، وينبغي للإنسان أن يفرح به، وأن يحمد الله الذي أعانه على فِعله، لأن ذلك من طاعة الله -عز وجل-.

***

(٦٢٣٠) يقول السائل ع. ع. ص: أنا شابٌّ مُسلم، وأحمد الله على هذه النعمة، وعمري لا يتجاوز السابعة والعشرين، أُصبت منذ أحدَ عشرَ عامًا بمرض، وذهبت إلى عدة مستشفيات في اليمن، على أَمَلِ الشفاء، ولكن دون جدوى، وفوَّضت أمري إلى البارئ -عز وجل- فهو القادر على شفائي، وتفريج كُرْبَتِي، وليس للمؤمن إلا ما كتب الله له. ثم يقول: والدي يُلِحُّ عليَّ بالزواج، ولكنني أرفض خوفًا من تطور المرض، خاصةً وله هذه المدة الطويلة، فهل في رفضي هذا معصية لوالدي، نرجو التوجيه مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن كلام هذا السائل كلامٌ طيب في كونه أثنى على ربه لهدايته إلى الإسلام، وفَوَّض أمره إلى الله لِمَا أصابه من المرض، وهكذا ينبغي للمؤمن إذا مَنَّ الله عليه بالهداية والاستقامة أن يحمد الله على ذلك، ويسأله الثبات عليها، حتى يلقى ربه -عز وجل- وهكذا ينبغي للمؤمن إذا أصيب بمصيبة أن يُفَوِّضَ أمره إلى الله، ولكن لا يدع الأسباب التي جعلها الله -تعالى- سببًا في إزالة هذه المصيبة.

وأما إلحاح والده عليه بالزواج وامتناعه عن ذلك، فالذي أرى ألا يمتنع عن الزواج ما دام مرضه لا يُخشى منه أن يتعدى إلى الزوجة، فإن الذي أرى أن يتزوج، فلعله أن يكون في زواجه خير، وشفاءٌ من هذا المرض، فإن بعض

الأشياء قد لا يخطر بالبال أنها مفيدة مُجْدِيَة، ومع ذلك تكون مفيدةً مُجْدِيَة بإذن الله.

فنصيحتي له أن يتزوج، امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ في قوله: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١). وطاعةً لوالده الذي يُلِحُّ عليه في الزواج، إلا إذا كان فيه مرض يُخشى منه أن ينتقل إلى الزوجة، فيكون جانيًا عليها، فهذا له أن يمتنع، ولكن ينبغي أن يُبيِّن لوالده السبب، حتى يطمئن والده ويرضى.

***

(٦٢٣١) تقول السائلة: ما هي موانع إجابة الدعاء؟ وتقول: لقد دعوت الله أن يرزقني بالزوج الصالح، ولكن للأسف من يتقدم لي غير ذلك، وقد تقدم لي أحد الأشخاص الذين يبدو عليهم الصلاح، إلا أنه كان متزوجًا فرفضته، لأنني لا أقبل نفسيًّا أن أكون الزوجة الثانية، وأن تكون سعادتي على حساب تعاسة الآخرين، فهل آثم في رفضه؟ كما أنها تقول: يراودني شعور بأنني سأظل بلا زواج طول عمري، ومهما دعوتُ، فلن يُستجاب لي، فهل هذا الشعور هو تحقيق لقول الرسول ﷺ: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ دَلِيلُهُ»(٢).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا نقول لها ولغيرها: إن الله -سبحانه وتعالى- قد يمنع إجابة دعوة الشخص لخير يريده لهذا الشخص، فلا يستعجل الإنسان، بل يُلِحُّ في الدعاء، والإنسان إذا دعا ربه، فلن يخيب، وذلك لأمور:

أولًا: أن الدعاء عبادة يُؤجَر عليها؟، ويثاب عليها.

ثانيًا: أن الله -تعالى- إما أن يجيب دعوته، أو يدخرها له يوم القيامة، أو يصرف عنه من السوء ما يقابل ما دعا به، أو أكثر، ومع ذلك نقول: أَلِحِّي

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج». رقم (٥٠٦٥)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم (١٤٠٠).

(٢) هذا ليس بحديث، كما قال العجلوني في كشف الخفاء، رقم (١٨٨٧).

بالدعاء، فإنك إنما تَدْعِين غنيًّا كريمًا جوادًا، ولا تيأسي، ولهذا جاء في الحديث: **«يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»**(١).

فنقول لهذه المرأة: لا تيأسي من رحمة الله، كَرِّري الدعاء. وأما كونها يتقدم لها رجل ذو دين، ولكن معه زوجة أخرى، فتمتنع من الإجابة من أجل الزوجة الأخرى، فلا أرى لها ذلك، ما دام الرجل صالحًا، ذا خُلُق ودين فلتُجِبْه.

وقولها: لا أحب أن تكون سعادتي بشقاء الآخرين. هذا غلط، فإن الآخرين لا ينبغي لهم أن يَشْقَوْا بذلك، فلا ينبغي للمرأة أن تغلبها الغَيْرَة، بحيث تَشْقى إذا تزوج زوجها، لأن تعدد الزوجات مما ينبغي أن يفعله العبد، إذا كان ذا قُدرة مالية وبدنية، وآمنًا من الجَوْرِ والميل، فإن في كثرة النساء كثرة الأولاد، وكثرة الأُمَّة، وتحصين فروج كثير من النساء الباقيات في البيوت، وهو من نعمة الله -عز وجل-.

ولولا أن في تعدد الزوجات حِكْمَة، ما شرعه الله -عز وجل- ولا أَذِنَ فيه، نعم إذا كان الإنسان قليل المال، أو ضعيف البدن، أو خائفًا ألا يعدل، فهنا نقول: الأفضل أن تقتصر على ما عندك، وتسأل الله التوفيق.

***

(٦٢٣٢) تقول السائلة: أريد أن أستشيركم في أمرٍ يَخُصُّني أنا وأفراد أسرتي من البنات، ألا وهو أني وأخواتي البنات كُتب علينا أن نظل بلا زواج، لأننا قد تخطينا سن الزواج إلى ما بعده بكثير جدًّا جدًّا، إن لم يكن اقتربنا من سِنِّ اليأس بالفعل، هذا مع العلم -ولله الحمد، والله على ما أقول شهيد- بأننا على درجة من الأخلاق، وقد حصلنا على شهادات جامعية جميعنا، ولكن هذا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم (٥٩٨١)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، رقم (٢٧٣٥).

هو نصيبنا، والحمد لله، نسأل الله -سبحانه وتعالى- الصبر والإيمان والتقوى، ولكن الناحية المادية هي التي لا تشجع أحدًا بأن يتزوجنا، لأن ظروف الزواج- وخاصة في بلدنا- تقوم على المشاركة بين الزوجين، باعتبار ما سيكون في المستقبل، والآن وبعد أن تعديت سن الزواج، وفَّقني الله -عز وجل- للعمل في الإمارات العربية المتحدة، إلا أنني سمعت في برنامجكم المفضل «نور على الدرب» عن حُرمة هذا السفر، اتباعًا لسنة رسولنا الكريم ﷺ فقررت -بمشيئة الله- أن أُقَدِّم استقالتي للرجوع إلى بلدي مرة أخرى، لأنه ليس هناك لديَّ مَن تسمح ظروفه بالسفر معي، والآن أسألكم يا فضيلة الشيخ: كيف نقي أنفسنا شَرَّ الألم الذي قُدِّر لنا؟ وكيف نحمي أنفسنا من كثرة الأسئلة التي توجه إلينا من الناس جميعًا عن السبب في عدم زواجنا؟ فلقد أصبح اختلاطنا بالناس أمرًا محالًا بسبب هذا الأمر، وأنا أعلم أن الصبر والصلاة، والاستعانة بالله -جل شأنه- هي السبيل، ولكن لا شَكَّ في أن في هذا الأمر مَشَقَّة على النفس، أرجو نصيحتي وتوجيهي نيابة عن أخواتي، وأسأل الله لي ولهنّ الخير، بارك الله فيكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النصيحة التي أوجهها إلى مثل هؤلاء النساء اللاتي تأخرن عن الزواج هي كما أشارت إليه السائلة، أن يلجأن إلى الله -عز وجل- بالدعاء والتَّضَرُّع إليه بأن يهيئ لهنّ مَن يُرضَى دِينُه وخُلقه، وإذا صدق الإنسان العزيمة في التوجه إلى الله، واللجوء إليه، وأتى بآداب الدعاء، وتخلَّى عن موانع الإجابة، فإن الله -تعالى- يقول ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال -تعالى- ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

فَرَتَّبَ -سبحانه وتعالى- الإجابة على الدعاء بعد أن يستجيب المرء لله،

ويؤمن به، فلا أرى شيئًا أقوى من اللجوء إلى الله -عز وجل- ودُعائه، والتضرع إليه، وانتظار الفرج، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»(١). وأسأل الله -تعالى- لهن ولأمثالهن أن ييسر لهن الأمر، وأن يهيئ لهن الرجال الصالحين الذين يعينونهنّ على صلاح الدين والدنيا.

تقول السائلة: يا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، هل عدمُ زواجنا هذا بما يسببه لنا مِن أَلَمٍ فيه تكفير لذنوبنا؟ وهل هذا الحرمان ينطبق على حالنا، أم هو نصيب ومكتوب فقط؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شَكَّ أن هذا الذي حصل نصيب ومكتوب، فإن الله -سبحانه وتعالى- كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، وكتب على العبد أَجَلَه وعَمَلَه ورِزْقَه وشَقِيٌّ أَمْ سَعِيد، وقد أشار الله -تعالى- إلى ذلك في قوله ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

ومع كونه مكتوبًا مقدرًا من الله -عز وجل- فإن الله -تعالى- يُثِيب المرء عليه إذا صبر واحتسب، فإذا صبر الإنسان، واحتسب على المصيبة، كان في ذلك تكفير لسيئاته، ورِفْعَة لدرجاته، وتكثير لثوابه، قال الله -تعالى- ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. وقال -تعالى- ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

***

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤).

(٦٢٣٣) **تقول السائلة**: يا فضيلة الشيخ، وهَل والدنا الفاضل يُمكن أن يُسأل عن ذلك الأمر يوم الدين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: والدكم لا يُسْأَل عن ذلك يوم الدين إلا إذا كان سبب التأخير منه، مثل أن يأتي الخُطَّاب الذين يُرضَى دِينُهم وخُلُقُهم، ثم يَرُدُّهم، نظرًا لما يُحَصِّل منكم مِن أموال بسبب هذه الوظائف، فإذا كان الأمر كذلك، أي إنه يَرُدُّ الخُطَّاب من أجل مصلحة مادية تعود عليه، فلا شَكَّ أنه آثم بذلك، وأنه لم يَقُمْ بواجب الأمانة، فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره من هذا العمل، وأن يُبادر بتزويجكنّ مِن حين أن يأتي الخاطب الذي يُرضى دِينه وخُلقه.

***

(٦٢٣٤) **يقول السائل**: أنا شاب في السادسة والعشرين من العمر، تزوجت فتاة مسلمة -والحمد لله- لكن مشكلتي هي أن والدِي وأُمي لم يوافقا على ذلك الزواج، أما أنا فقد تزوجتها بموافقة أهلها ورضاها، وبعد مُدَّة قصيرة من الزواج بَدَأَت مشكلات بين زوجتي، وبين أهلي، يعني أُمِّي وأَبي وإخواني، فهم يريدون من زوجتي الشغل خارج البيت في المزرعة، ومعهم كثير من إخواني، وأنا غير موجود معهم، فأنا مُوَظَّف، والمشكلة أن جميع مَن في البيت ما عدا أنا وزوجتي يُحِبُّون صُوفِيَّة هذا الزمان الذين تكثر فيهم البِدَع والخُرافات، ومن هذه البِدَع أنهم يذهبون إلى السيد ويعملون أوراقًا على شكل مربعات، ويكتبون فيها أشكالًا وألوانًا، لا نعرف ما هي هذه الكتابة، وليست من القرآن، ويحرقونها في النار، والكثير من البدع، وأنا أنصح لهم، ولا يفيد ذلك، وجوابهم في ذلك أنهم يقولون: أنت لم تأت إلى الدنيا إلا البَارِحة -يعني يستصغرونني- وأنت اليوم تُعَلِّمنا بديننا؟ والحقيقة أنني لم أستطع أنا وزوجتي أن نعيش في هذا البيت من كثرة المشكلات، وهم يُلِحُّون عليَّ أن أُطَلِّق زوجتي، وأنا لا أقبل بذلك، مما جعلني أترك هذا البيت، وأسكن في بيت ثانٍ،

مع العلم أنهم لن يقبلوا أن أعيش معهم، أو أن أرجع إليهم أبدًا، وإذا رجعت، فإنهم يهددونني، فماذا أعمل، أرجو من فضيلتكم تفصيل ذلك، ونصيحتكم جزاكم الله خيرًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتنا أولًا لأهلك: ننصحهم أن يَكُفُّوا عما هم عليه من هذه الخُرافات البِدْعِيَّة التي ما أنزل بها مِن سلطان، والتي لا تزيدهم من الله -تعالى- إلا بُعدًا، لأن النبي ﷺ يقول: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

وحَذَّر ﷺ مِن البِدَع وقال: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(٢). فإذا كانوا صادقين في إرادتهم لله -عز وجل- والدار الآخرة، فليتبعوا نبي الله ﷺ فإن بذلك السعادة في الدنيا والآخرة، قال الله -تبارك وتعالى- ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

وهم إذا رجعوا إلى خالص السنة وصفائها، عرفوا أن ما هم عليه ضلال وخطأ، وانشرحت صدورهم للإسلام، واطمأنت قلوبهم به، وعرفوا قَدْر الحياة التي قال الله -تعالى- عنها ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧].

وأما بالنسبة لك: فإنني أوصيك بتقوى الله -عز وجل- أنت وزوجتك، وأن تستقيم على أمر الله -سبحانه وتعالى- وما صنعته مِن انفرادك عنهم في البيت أنت وزوجتك، فإنه موافق للصواب، فلتَبْقَ مع زوجتك في

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧)، بدون قوله: «وكل ضلالة في النار». والحديث بهذه الزيادة أخرجه النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨).

هذا البيت بعيدًا عن البِدَع والخرافات، ولْتَصِلْ والديك وأقاربك بما يجب عليك، ولْتَحْرِص على نصيحتهم دائمًا، وتبين لهم الحق، ولا تيأس، فإن القلوب بيد الله -سبحانه وتعالى- وكم من إنسان كان بعيدًا عن الحق، وبكثرة النُّصح والإرشاد، والتوجيه بالأدلة المنقولة والمعقولة، حصل له الخير والفلاح.

***

(٦٢٣٥) يقول السائل: أنا أعمل بالمملكة العربية السعودية، وأسكن مع إخوة لي مصريين، وكلنا -والحمد لله- على خُلُق، ونحافظ على جميع أنواع العبادات، ولكن يا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ، يوجد بيننا رجل لا يصلي الفرض إلا وحده منفردًا، ولا يصلي مع الجماعة إلا يوم الجمعة، ولقد نصحناه كثيرًا بالصلاة معنا في الجماعة، لكنه لم يمتثل لأي نصيحة، أو توعية من إخوانه، وكذلك إذا دخل علينا المنزل لا يقول: السلام عليكم ورحمة الله، أو: السلام عليكم. ويقول: لن أقول لأحد: السلام عليكم، فأنا حُرٌّ أقول ما أشاء حسب مِزَاجِي، فوجهونا في ضوء ذلك مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نوجه الأخ المسئول عنه بالتوبة إلى الله -عز وجل- والقيام بما أوجب الله عليه من صلاة الجماعة، وكذلك ننصحه بأن يُسَلِّم على إخوانه إذا دخل عليهم، لأن هذا مِن حَقِّهم عليه، قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»**(١).

أما بالنسبة لهؤلاء، فإن عليهم النصيحة لهذا الأخ الذي تَخَلَّفَ عن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم (٢١٦٢).

الجماعة، ولا يصلي إلا يوم الجمعة، وهو أيضًا لا يُسَلِّم عليهم، ويهددونه بأنه إذا لم يستقم، طردوه مِن صحبتهم، ولا حرج عليهم أن يطردوه من صحبتهم إذا أصر على ما هو عليه من المنكر، اللهم إلا أن يخافوا أنه لو ذهب عنهم لارتكب إثمًا أشد من الإثم الذي هو عليه فيما بينهم، فهنا يتوجه أن يقال: يبقى عندهم ويناصحونه، لعل الله يهديه.

***

(٦٢٣٦) تقول السائلة: الشيخ محمد -حفظكم الله- إن بينها وبين زوجها مشكلات، حيث تذكر أنها تعاني من مرض نفسي، وأنها لا تستطيع أن تقوم برعاية زوجها الرعاية الكاملة الأسرية، فما هو السبيل لبناء الحياة الأسرية السعيدة في مثل هذه الحالة؟ وإذا كان التفاهم من جانب واحد -وهو الزوج- وأما والزوجة فَمُقَصِّرَة، فبماذا تنصحونها؟ وتطلب منكم أن تدعوا لها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أنصحها بأن تصبر وتحتسب، وتحاول بقدر ما تستطيع أن تصلح العِشْرة بينها وبين زوجها، وهي مع دعاء الله -تعالى- والاستعانة به، وحُسن النية ستنال مقصودها، فإن الله -تعالى- لا يُضِيع أجر مَن أحسن عملًا، ولا تتعجل بطلب الفراق.

وأما دعاؤنا لها: فإني أسأل الله -تعالى- أن يُصلح حالها مع زوجها، ولكني أخبرها وأخبر غيرها أيضًا أن دعاء الإنسان لنفسه أفضل مِن طلبه مِن غيره، فكونه هو الذي يدعو الله -تعالى- خير له من أن يقول: يا فلان ادع الله لي. لأن الله -تعالى- يقول ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]. ومِنَّة الله عليك خير من أن يَمُنّ عليك رجل مثلك، أو امرأة مثل المرأة.

ولا شَكَّ أن مَن طلب السؤال من غيره سيناله شيء من الذل والتذلل لهذا المطلوب، فكونك لا تطلب أحدًا وتبقى عزيز النفس، خير من أن تطلب شخصًا يدعو لك.

فوصيتي لهذه المرأة ولغيرها أن يَدْعوا ربهم -عز وجل- وألا يلتفتوا إلى

غيرهم، وأن يدعوا الله وهم موقنون بالإجابة غير مستبعِدِين لها، ولْيُكَرِّروا السؤال والدعاء، فإن الله -تعالى- يحب الملحين بالدعاء.

وليعلموا أن الله -تعالى- قد يمنع عنهم ما دَعَوْه به لمصلحتهم، حتى يكرروا الدعاء، ويُخْلصوا اللجوء إلى الله -عز وجل- والدعاءُ نَفْسُه عبادة يقرّب إلى الله، وانتظار الفرج من الله -تعالى- عبادة، يوجب تعلق قلب العبد بربه -عز وجل- وكم من إنسان ازداد إيمانًا بتأخر إجابته، وازداد لجوءًا وافتقارًا إلى الله حين تأخرت إجابة الطلب، ولا ينبغي للسائل أن يستحسر ويتعجل فيقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي. بل يُلِحُّ ويُلِحُّ مِرارًا وتَكرارًا، فإنه ليس بخائب إطلاقًا، لأن الله -تعالى- إما أن يستجيب له، وإما أن يصرف عنه من السوء ما هو أعظم مما هو فيه، وإما أن يدَّخر ذلك له أجرًا وثوابًا يوم القيامة.

***

(٦٢٣٧) يقول السائل: بعض الناس يجعل من يوم الجمعة موعدًا لرحلاته ونزهاته، فهل لكم توجيه في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إني أوجه النصيحة لهؤلاء القوم الذين يجعلون يوم الجمعة محلًّا، أو وقتًا للرحلات، والبعد عن صلاة الجمعة أن يَتَّقُوا الله -عز وجل- وأن يحمدوا الله -تعالى- على نِعَمِه، وعلى ما نحن فيه من رخاء ورَغَد وأَمْن، وأن يشكروا الله -عز وجل- ثم إن الحكومة قد جعلت للناس مُتَّسعًا في الإجازة الأسبوعية، حيث أضافت إلى يوم الجمعة يوم الخميس، وبالإمكان أن يجعل الإنسان يوم الخميس هو يوم رحلاته، ويجعل يوم الجمعة هو يوم شراء حاجاته الأسبوعية، لأن بعض الناس يقول: إني في يوم الخميس أتفرغ لشراء الحاجات الأسبوعية، فنقول: اجعل يوم الجمعة هو يوم التفرغ لشراء الحاجات الأسبوعية، واجعل يوم الخميس يوم رحلات، أما أن تجعل ذلك يوم الجمعة وتواظب على هذا، وكل جمعة تخرج من بلدك، وتترك صلاة الجمعة، فهذا يُفَوِّت عليك خيرًا كثيرًا، وربما تقع في إثم.

(٦٢٣٨) **يقول السائل ع. ح. ط**: ما هو توجيه فضيلتكم لمن أَصَرَّ على عدم قبول الحق، لأن المتحدث يَصْغُره في السن، أو لأن السامع في قلبه شيء على نفس المتحدث؟ أرجو النُّصح والتوجيه في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتي في هذا: إذا كان هذا الْمُصِرُّ على المعصية- سواء كانت فعل محرم، أو ترك واجب- وكان أخوه، أو صاحبه يَصْغُره في السن، ويعلم أنه لن يقبل منه، نصيحتي للمنصوح أن يقبل النصيحة مِن أي شخص كان، فالحق هو مراد المؤمن، وهو ضالة المؤمن أينما وجده أخذه.

أما بالنسبة للناصح، فإذا كان يعلم، أو يَغْلِب على ظنه أن هذا سوف يحتقر النصيحة، ولا يقبلها، فليطلب ذلك ممن هو أكبر منه، حتى يقوم بالنصيحة لهذا الرجل المِصرّ على المعصية.

***

(٦٢٣٩) **يقول السائل**: ما هي الطريقة المُثْلى لنُصح الجار الذي يتخلف عن الصلاة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الطريقة المثلى لنصح الجار أن تذهب إليه في البيت، أو تدعوه إلى بيتك، أو ترافقه في السوق، وتتلطف معه، وتخاطبه بالتي هي أحسن، وتقول له: أنت جاري ولك حقٌّ عليَّ، وقد أوصى النبي ﷺ بالجار خيرًا، ولك حق عليَّ أن أساعدك في كل ما فيه منفعتك في الدين والدنيا، وتأتي له بالأسلوب الذي تراه مناسبًا، ثم تنتقل بعد ذلك وتقول: إن من خير ما أهدي إليك أن أنصحك بالمحافظة على الصلوات، لأن الصلاة عمود الدين. وتذكر له مِن فَضْلها، وتُحَذِّره مِن إضاعتها، ثم تقول: ومن إقامتها، والمحافظة عليها أن تصليها مع الجماعة، ثم تذكر له فضل الجماعة، وتحذره من التخلف عنها.

وفي ظني أن الإنسان إذا نُصِح بطريق طَيِّب لَيِّن، فإنه سيؤثر قوله -بلا

شك- إذا كان مخلصًا لله -تعالى- في نصيحته، غير شَامِتٍ، ولا مُنْتَقِدٍ، فإن كلمة الحق إذا خرجت من قلب ناصح أثَّرت تأثيرًا بليغًا، إما في الحاضر، وإما في المستقبل، ألا ترى إلى موسى -عليه الصلاة والسلام- لما أحضر إليه السحرة في مجمع عظيم، قال لهم موسى ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]. قال الله -تعالى- ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢] يعني: حل بينهم النزاع في الحال، لأن الفاء في قوله ﴿فَتَنَازَعُوا﴾ تدل على الترتيب والتعقيب، وعلى السببية أيضًا، إذا دخلت على الجمل، فإنها تفيد السببية.

فانظر كيف أثَّرت هذه الكلمة في أولئك السحرة: تنازعوا أمرهم بينهم، وإذا حَلَّ التنازع في أُمَّة، أو طائفة، فإن مآلها الفشل والخذلان، قال الله -تعالى- ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

هذا ما أراه في نصيحة جارك، حول تَهاوُنه بصلاة الجماعة، فإن أفاد فيه ذلك، فهذا هو المطلوب، وإن لم يفد، فإن عليك أن ترفع الأمر إلى الجهات المسئولة، وبذلك تَبْرَأ ذِمَّتُك.

***

(٦٢٤٠) يقول السائل: عندما يتقدم شاب لِخِطْبَة فتاة، يقوم أهل العروسة بالسؤال عن العريس، وذلك عن طريق جيران العريس، وزملائه في العمل، عن دِين وأخلاق ذلك العريس، فنجد البعض يُخْفون الحقيقة على أهل العروسة، فنجدهم يُثْنُون على العريس، ويَصِفُونه بأوصاف ليست في الحقيقة موجودة فيه، لدرجة أنهم يجعلونه من المحافظين على الصلوات في المسجد مع الجماعة، وهو في الحقيقة قد لا يعرف طريق المسجد، ولم يركع لله ركعة واحدة، وغير ذلك من ارتكاب بعض الآثام، وما خفي كان أعظم، وكم مِن ضَحِيَّة ذَهَبَت في مِثْل هذه القضية. ويقول السائل: وهذا ما حصل لإحدى الأخوات

الملتزمات- نحسبها كذلك، ولا نزكي على الله أحدًا- ولكن بعد الزواج اكتشفت حقيقة هذا الزوج، ومَدَى الغِشِّ والكَذِب الذي وقع لها مِنْ قِبَل هؤلاء الناس، مما اضطرها إلى طلب الطلاق، فأرجو توضيح حكم الشرع في نظركم في فعل هؤلاء؟ وما نصيحتكم لهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا نُبيِّن حكم اللفظ الذي قال: عريس وعروسة، الواقع أنهما ليسا عروسين، ولكنهما خاطبٌ ومخطوبة، فينبغي للإنسان -إذا تلفظ بالكلمات- أن تكون كلماته مُحَرَّرة مُنَقَّحَة.

أما ما يتعلق بوصف بعض الناس للخطيب بأنه ذو خُلُق ودِين، وهو بريء من ذلك، أو ناقصٌ في ذلك، فهذا والله هو عَيْنُ الغِشِ، وهو مخالفٌ للدين، لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». **قَالُوا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[(١)]. وهؤلاء الذين يمدحون الخاطب، وهم كاذبون، والله ما نصحوا لعامة المسلمين، بل غَشُّوا وخدعوا، ثم إن هؤلاء المساكين يظنون أنهم مُحْسِنون إلى الخطيب، وهم أساءوا إليه، حيث غَشُّوا به الناس، ثم هو سوف يَتَنَكَّد فيما بعد، إذا عُرِف أنه ليس ذا خلق ودين، فسوف يكون هناك نَكَد بينه، وبين الزوجة، وبين أهله وأهلها، ويرجع الزواج جحيمًا والعياذ بالله.

ونصيحتي لهؤلاء أن يَتَّقُوا الله -عز وجل- وأن يُبَيِّنُوا الحقيقة، ولو كان ابنهم، حتى لو كان ابنهم وخطب مِن أُناس وهم يعرفون مِن ابنهم أنه ذو كسلٍ في العبادة، وذو سوءٍ في الخُلق، فيجب أن يُبَيِّنُوا ويقولوا: والله ولدُنا قليلُ الصلاة مع الجماعة، وسيئ الخُلُق، قريب الغضب بطيء الإفاقة من الغضب، فإن شئتم زوجوه وإلا اتركوه، هذا هو الواجب، قال الله -تعالى- ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ ﴾ [النساء: ١٣٥].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥).

وهذا الذي ذكر السائل مِن وقوع بعض الملتزمات في مشكلات من أجل هذا الغش أمرٌ واقع، وكثيرًا ما نُسأل عنه، وفي هذه الحال ينبغي عند العقد أن يقال: نشترط عليه أن يكون مستقيمًا في دِينه وخُلقه، فإن لم يكن مستقيمًا فلَنا الفسخ، حتى يرتاحوا، فإذا لم يكن مستقيمًا فلهم الفسخ، لأن استقامة الدِّين والخلق من الأمور المطلوبة، كما في الحديث: «**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(١). ومفهوم الحديث: إذا لم نرضَ دِينَه وخُلُقَه فلا نزوجه.

فأقول: إذا خِفنا أن نقع في مثل هذه الحال- وهو كثير- نقول: بشرط أن يكون مستقيم الخُلُق والدِّين، فإن لم يكن كذلك فللمرأة الفسخ، ويكون هذا شرطًا صحيحًا مقصودًا قصدًا شرعيًّا، إذا لم يكن مستقيم الدِّين والخُلق باسم الله فَسَخْت نكاحي منه، وتسلم منه.

۞۞۞

(١) أخرجه الترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، رقم (١٠٨٤).